وزارة التعليم العالـــي والبحث العلمـــي

جامعة كربـلاء ـ كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربيـــة

تخييل التاريخ الإسلامي في روايات جرجي زيدان

- رواية 17 رمضان اختيارًا -

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية/ لغة القرآن وآدابها

كتبت من قبل الطالبة :

كوثر شاكر هلال كاظم

بإشـــــراف:

أ.د. علي محمد ياسين

تموز - 2023م **محرم - 1445هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(صدق الله العلي العظيم)

(سورة المجادلـــة : الآية 11)

ترشيح الرسالة للطبع

نظرًا لإنجاز فصول ومباحث الرسالة الموسومة بـ (**تخييل التاريخ الاسلامي في روايات جرجي زيدان – رواية 17 رمضان اختياراً**) لطالبة الماجستير(**كوثر شاكر هلال كاظم**) فأني أُرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف : أ.د علي محمد ياسين

مكان العمل: كلية العلوم الاسلامية

التاريخ: ٢-٤-٢٠٢٣م

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ (**تخييل التاريخ الاسلامي في روايات جرجي زيدان – رواية 17 رمضان اختياراً**) التي قدمتها الطالبة (**كوثر شاكر هلال كاظم**) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها .

التوقيع:

المرتبة العلمية : أستاذ

الإسم: أ.د. علي محمد ياسين

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: 9-6-2023م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

الاسم: أ.م.د. حامد شهاب احمد

التاريخ: ٢٠٢٣/٥/٢١

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضائها أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ **(تخييل التاريخ الإسلامي في روايات جرجي زيدان ، رواية 17 رمضان اختياراً)** وناقشنا الطالبة **(كوثر شاكر هلال كاظم)** في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير **(جيد جداً عالٍ)** لنيل درجة الماجستير في لغة القرآن وآدابها.

التوقيع:

الاسم: أ. د. مسلم مالك الأسدي

المنصب في اللجنة: رئيساً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ. م. د. محمد رضا عبد الستار

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.م. د. حنان منصور عباس

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ. د. علي محمد ياسين

المنصب في اللجنة: عضواً ومشرفاً

التاريخ:

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية/جامعة كربلاء

التوقيع:

الاسم: أ. د. ضرغام كريم كاظم الموسوي

العميد وكالة

التاريخ: 2023/8/7

الإهـــــــداء

أهدي هذا الجهد العلمي إلى :

من سيملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا الحجة المنتظر " عجل الله تعالى فرجه الشريف ".

إلى من أرسى لديّ قواعد الخلق الكريم ، وكيفية كبح زمام النفس ... أبي المُوقّر.

إلى من علّمتني الصبر والجدّ والاجتهاد في كافة مناحي الحياة ... أُمّي الحبيبة.

إلى كل من له عليّ فضل بعد الله سبحانه وتعالى ، ونبيه محمد ﷺ ، وآل بيته الأطهار .

شكـــــر وعرفـــان

عملا بقوله ﷺ : " من لا يشكر الناس لم يشكر الله "

فالحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل...

اعترافا بالفضل وتقديرا للجميل لا يسعنا إلا أن نتوجه بجزيل الشكر والامتنان وأسمى عبارات الاحترام والتقدير لأستاذنا الأستاذ الدكتور " علي محمد ياسين " فلولا جهدهُ لم يكن لبحثنا هذا ليرى بصيص النور ، وتفضل مشكورا بالإشراف على هذه الرسالة وقدم كل العون والمساعدة ، حيث كان لتوجيهاته السديدة وملاحظاته القيمة الأثر الأكبر في إتمام الرسالة على أن تظهر بهذه الصورة، فله منا خالص الدعاء و أن يبارك له في عمله و أن يجعله ذخرا للعلم والمعرفة ، جزاه الله عنا خير الجزاء

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها ...

وإلى كل من بذل معنا مجهودا ووفر لنا وقتا أو نصح لنا قولا ، نسأل الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء وأن تكون هذه الرسالة مرجعا يُستفاد منه .

الخلاصـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وخليله وصفوته من خلقه سيدنا محمد (صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعلى آله ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين ، أما بعد ....

أصبح الحكي تاريخاً ، على اعتبار أن التاريخ حكاية قد تُروي مشافهة أو كتابة وأثناء عملية الحكي تلك ، يدخل الخيال فيوسع دائرة الحكي ويعيد سرد التاريخ بإضافة بصمات تخيلية حتى تكتمل صورة الحكاية فيصبح بذلك التاريخ (ممارسة إبداعية). لتشكل المسألة التاريخية من ثلاثة عناصر أساسية : هي الوقائع التاريخية كما وقعت فعليا، ثم عملية إعادة حكي هذه الوقائع بعد مدة زمنية (مشافهة أو كتابة)، ثم ثالثا وأخيرا، ضرورة إضافة بعض العناصر التخييلية (وفق مزاج وتقنية الحاكي)، وسوف تتناول هذه الدراسة نموذج من روايات جرجي زيدان ،وهو رواية (17 رمضان).

تألفت رسالة الباحثة التي حملت عنوان **(التخييل التاريخي في روايات جرجي زيدان ، رواية 17 رمضان اختياراً)** من تمهيد عن جرجي زيدان ورواياته التاريخية المتخيلة مع ثلاثة فصول وعلى النحو الآتي:

تضمن الفصل الأول العلاقة بين الرواية و التاريخ وقد شمل ثلاثة مباحث (الرواية التاريخية عند الأوربيين و العرب ، الرواية بوصفها مصدرًا تاريخيًا ، التاريخ بوصفه مرجعًا أدبيًا)، بينما تضمن الفصل الثاني التاريخ العربي الإسلامي و إعادة إنتاجه عند جرجي زيدان ، تناولت (المرجع و إعادة إنتاج المعنى في رواية جرجي زيدان ، النص الروائي عند جرجي زيدان من حركة الذات إلى حركة التاريخ) ، أما الفصل الثالث يتعلق برواية السابع عشر من

رمضـــان و اشـــتغال المتخيـــل التـــاريخي وقـــد شـــمل مبحثـــان (الحـــدث التـــاريخي و تجلياتـــه فـــي روايـــة الســـابع عشـــر مـــن رمضـــان، الســـابع عشـــر مـــن رمضـــان و الشخصـية التاريخيـة وطبيعتهـا داخـل هـذه الروايـة) ، ثـم خاتمـة بـأهم النتـائج التـي تـم التوصل إليها وقائمة بالمصادر والمراجع .

قائمة المحتويـــات

المقدمـــة ..... 1 - 4

التمهيـــد ..... 5 - 18

المطلب الأول : جرجي زيدان في سيرته ..... **6 - 33**

المطلب الثاني : روايات جرجي زيدان بين الواقع والتخييل 16- 33

الفصـــل الأول: في العلاقة بين الرواية والتاريخ 34- 63

المبحث الأول: الرواية التاريخية بين الأوربيين والعرب 35- 44

المبحث الثاني: الرواية بوصفها مصدرا تاريخيا 45- 54

المبحث الثالث: التاريخ بوصفه مرجعا أدبيا 55- 63

الفصل الثاني: الوقائع التاريخية وإعادة الإنتاج في رواية 17 رمضان..... 64 -95

المبحث الاول :المرجع وإعادة إنتاج المعنى في رواية 17رمضان 65- 87

المبحث الثاني :النص الروائي من حركة الذات إلى حركة التاريخ 88- 95

الفصـــل الثالث:اشتغال المتخيّل التاريخي في رواية 17 رمضان..... 96 - 121

المبحث الاول :الحدث التاريخي وتجلياته في رواية 17 رمضان..... 97- 107

المبحث الثاني :الشخصية الروائية بين التاريخ والفن..... 108- 121

الخاتمـــــة 122- 124

قائمة المصادر والمراجع 125- 138

الخلاصة باللغة الإنكليزية ..... A - B

المقـــــدّمة

بســـــم الله الرحمـــــن الرحيـــــــم

الحمـد لله رب العـالمين ، ولـه الشـكر علـى نعمائـهِ و بلائـهِ ، والمنـة علـى إعطائـه ، والصـلاة والسـلام علـى أشـرف الخلـق سيدنـــا محمد (صَـلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ) خـــاتم الأنبيـــــاء والمرســـلين ، وعلـــى الأئمـــة الهـداة مـــن أهـــل بيتـــه الأطهـــار الطيبـــين ، وصحبـــه المنتخبـــين الأخيار ، أمـــا بعـــد....

شـكل (الحكـي) أهـم ممارسـة ثقافيـة عرفهـا الأنسـان فـي عصـور الشـفاهية الأولـى ليظـل هـذا الفـن ممارسًـا لـدوره بعـد معرفـة الأنســان للكتابــة و التــدوين ، و كــان (الحكـي) الـذي صـار قاعـدة لفـن واسـع التـداول و الحضـور بعـد ظهـور الطباعـة ، متخذا من مسمى (الرواية) مصطلحًا يفرّقه عن الأجناس الأدبية الأخرى.

وقد احتلت (الرواية التاريخية) طليعة الكتابات الروائية في الأدبين الغربي والعربي بسبب طبيعة العلاقة الوثقى بين الأدب و التاريخ ، و بسبب ما ينجم عن هذه العلاقة من أهمية ثقافية و اجتماعية ألقت بظلالها على الدور الكبير الذي اضطلعت به الرواية العربية و التاريخية منها على وجه التحديد في محاولات النهضة العربية ، وفي محاولات تغيير الواقع العربي نحو الأفضل .

ومن هنا فقد كان الدافع كبيرًا لدراسة محاولات (جرجي زيدان) في تخييل التاريخ الإسلامي عبر رواياته الكثيرة ، وقد اخترت أنموذجًا منها (رواية 17رمضان) لكونه أحد النماذج التي قرأتها مبكرًا وظلّت أحداثه عالقة في ذهني فقررت أن أشدّ العزم لدراسة هذا الأنموذج ضمن النتاج الغزير من الروايات التاريخية التي كتبها جرجي زيدان في وقت مبكر من تاريخ النهضة العربية الحديثة .

ولذا فقد هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن الطريقة التي تمثل من خلالها جرجي زيدان لحظة من التاريخ الإسلامي المبكر (ليلة الغدر بالإمام علي) و محاولته إعادة بنائها حدثًا

روائيا ينتظم الصراع بين شخصيات الرواية الواقعية و المتخيّلة ، و يعيد ترتيب إيقاع الزمن بما يلائم الأحداث المتسلسلة في الرواية تسلسلًا محكومًا بحدود الواقعة التاريخية .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أعقد لها ثلاثة فصول مسبوقة بتمهيد عنوانه : " جرجي زيدان و رواياته التاريخية المتخيلة " ، و قد تناولت فيه شيئا من سيرة جرجي زيدان ، و ثقافته ، و إبداعه الروائي بين الواقع و التخييل وتوضيحًا لمصطلح التخييل الذي استوجب أن أحدد مفهومي الخاص له .

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان : " العلاقة بين الرواية و التاريخ " درست فيه ، الرواية التاريخية عند الأوربيين و العرب ، الرواية بوصفها مصدرًا تاريخيًا ، التاريخ بوصفه مرجعًا أدبيًا ، و حاولت من خلاله أن أقف على كلّ من هذه المفردات لعلاقتها الوثقى بموضوع البحث الرئيس .

وفي الفصل الثاني المعنون : " التاريخ العربي الإسلامي و إعادة إنتاجه عند جرجي زيدان " تناولت المرجع و إعادة إنتاج المعنى في رواية جرجي زيدان ، النص الروائي عند جرجي زيدان من حركة الذات إلى حركة التاريخ . بوصف ذلك مدخلًا مهمًا لدراسة المتخيل التاريخي في الرواية المذكورة ، و هو ما خصصنا له الفصل الثالث المعنون : " رواية 17 رمضان و اشتغال المتخيل التاريخي " ، وتطرقت فيه إلى: الحدث التاريخي و تجلياته في رواية 17 رمضان، 17 رمضان و الشخصية التاريخية وطبيعتها داخل هذه الرواية .

وقد اعتمدت دراستنا هذه على مجموعة من المصادر و المراجع ذات العلاقة بالنقد الروائي الخاص بنمط الرواية التاريخية مطوعة منهجًا موضوعياً تحليلياً.

و قد حاولنا في كلّ ذلك أن نُخلص لهذا البحث الذي ما إن اقترحه عليّ أستاذي المشرف (الأستاذ الدكتور علي محمد ياسين) حتى وجدت نفسي متحمسةً لإعادة القيمة الحقيقية إلى (جرجي زيدان) و إلى أسلوبه في كتابة الروايات التاريخية ، وهو و إن كان أسلوبا تجاوزته طرق التعبير الحديثة في الرواية العربية ؛ فهو بحاجة إلى إعادة القيمة الاعتبارية له لما له من دور كبير في التأسيس للنهضة العربية الحديثة، وللفن الروائي عند العرب .

ومن الجدير بالذكر أن هنالك دراسة أخرى تناولت الرواية التاريخية عند جرجي زيدان وآخرين تحت عنوان " البناء الفني في الرواية التاريخية العربية 1870 – 1939 م دراسة فنية مقارنة " للباحث خالد سهر محي الساعدي ، وقد نُوقشت هذه الرسالة في جامعة بغداد ، كلية الآداب ، وأجيزت سنة 1989م . وهي دراسة ذات طابع فني شملت الروايات العربية ضمن فترة 1870 م– 1939 م ومن ضمن هذه الروايات ، روايات جرجي زيدان التاريخية التي عرض الباحث لها بشكل موجز مقارنا إياها بنماذج من الرواية الغربية ، ولذلك يختلف عملنا هذا عن الرسالة المذكورة ، ولا يعد إكمالًا لها ودراسة أخرى بعنوان (ملامح الرواية التاريخية عند جرجي زيدان رواية (غادة كربلاء) انموذجاً 2016 ، و جرجي زيدان وروايات تاريخ الإسلام دراسة تحليلية – أطروحة دكتوراه – هويدا محمد – جامعة أم درمان 2010- ، روايات تاريخ الإسلام لجرجي زيدان – دراسة ونقد – أطروحة دكتوراه – محمد عبد الحسين عبد القادر – جامعة الازهر .

و إذا كان لابد من الشكر والامتنان فإنه يلزم علينا أن أشكر الله عز وجل في كل خطوة خطوتها في البحث، والشكر موصول إلى الأستاذ الدكتور (علي محمد ياسين) الذي رعى هذا البحث منذ أن كان مجرد فكرة صغيرة حتى استوى على ما هو عليه الآن ، وإلى كل من مدّ لنا يد العون .

الباحثة

التمهيـــــد

جرجي زيدان ورواياته التاريخية المتخيلة

المطلب الأول: جرجي زيدان : في سيرته .

هو جرجي بن حبيب زيدان مؤرخ ، صحفي ، قصصي ، لغوي ، شارك في بعض المجالات العلمية[1] . ويمثل جرجي زيدان العصامية بأجلى معانيها ، فهو من أسرة لبنانية مسيحية ميسورة الحال وهو ما ترك أثره لاحقا على تعليم جرجي تعليما لائقا في ذلك العصر[2] .

ولد جرجي في بيروت في 14 كانون الأول " ديسمبر " سنة 1861م ، وفي سن الخامسة ، أرسله والده إلى مدرسة يديرها الأب إلياس شفيق ، ولم يكن هدفه تربية ابنه من أجل التعليم ، لكن دفعه إلى المدرسة لدراسة الكتابة والقراءة والحساب حتى يتمكن من ذلك ويساعد والده في إدارة المطعم الذي يملكه والتحكم في حساباته .[3] وقد شاءت الظروف أن ينتقل هذا الولد النبيه إلى مدرسة الشُوام حيث درس اللغة الفرنسية ، ثم إلى مدرسة المعلم " مسعود الطويل " حيث درس اللغة الانجليزية . ولما بلغ الثانية عشرة من عمره تعلمَ صناعة الأحذية ، ومارسها لمدة عامين ، وعاد إلى مطعم والده ، والتقى بمعظم خريجي الأكاديمية الأمريكية وعرف أشخاصًا في الصحافة ، مما سهل الأمر عليه ، للالتحاق بجمعية (شمس البر) التي تأسست في بيروت سنة (1869 م) ، وكانت فرعًا لجمعية الشبان المسيحيين في انكلترة ، وهي جماعة رأى أن ينضم إليها مع يعقوب صروف ، وفارس نمر ، وسليم البستاني ، وبطرس البستاني[4] .

---

[1] معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، قاموس تراجم، طبعة مطبعة الترقي، دمشق، 1956: 125\3

[2] ينظر، عصاميون عظماء من الشرق والغرب : بأقلام نخبة من كبار الكتاب ، أشرف عليه: محمد فريد ابو حديد ، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال ، العدد 35- جمادى الأولى 1373-فبراير 1954: 62 .

[3] ينظر، المصدر نفسه:7.

[4] ينظر، جرجي زيدان في الميزان : شوقي أبو خليل ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1401-1981، ط2، 1401-1981: 15 .

وفي عام 1881م ، قرر ترك وظيفته والانضمام إلى الأكاديمية الأمريكية ، حيث درس في كلية الطب ، الأمر الذي تطلب اجتياز بعض المواد العلمية التحضيرية ، وانصرف إلى الامتحان في علوم الصيدلة ، و قد تجاوز هذا الاختبار[1] .

و كان جرجي كثير السفر و الترحال إذ سافر إلى السودان في عام 1884م رغبة في استكشاف أوضاع تلك الدول التي زارها . وسافر إلى بيروت في عام 1885م ، وبعد وصوله بوقت قصير تم تفويضه من قبل المجمع العلمي الشرقي ليكون عضوًا عاملًا فيها . وقد مكث في بيروت نحو عشرة أشهر يدرس اللغات الشرقية ؛ ونتيجة لذلك وضع كتابه المعروف " في الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية "[2] .وفي سنة 1891م أنشأ جرجي - وهو رجل فقير اقترض ستة جنيهات من أحد الجيران للوصول إلى مصر - مطبعة التأليف مشتركًا مع زميل له المؤسس الأول لدار المعارف ، وكانت شراكة فاشلة ، فبعد عام واحد فقط انفضت الشراكة بينهما ، واحتفظ جرجي بالمطبعة لنفسه ، وأسماها مطبعة " الهلال "[3].

وفي سنة 1892م أصدر جرجي مجلة " الهلال " وقام بتحريرها بنفسه حتى بلوغ ابنه إميل الذي ساعده لاحقًا في تحريرها ، وأصدر جرجي مؤلفاته ورواياته التاريخية وهو قائم بتحرير الهلال [4] فكتب بعد تحريرها مؤلفات عدة ترجم أكثرها إلى اللغات

---

[1] ينظر ، اعلام العرب جرجي زيدان : محمد عبد الغنى حسن ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 م : 9.

[2] مرآة العصر في تاريخ ورسوم اكابر الرجال بمصر : الياس زاخورة ، المطبعة العمومية بمصر ، 1897: 1\460- 461.

[3] جرجي زيدان في الميزان : شوقي أبو خليل: 16.

[4] ينظر، المصدر نفسه : 17.

الإفرنجيـة والتركيـة والفارسـية والهنديـة وغيرهـا إلـى أن تـوفي بالقـاهرة فجـأة بالسـكتة القلبية في شهر تموز (يوليو) عام 1914م .[1]

كـان جرجـي زيـدان يكتـب فـي مجلـة المقتطـف حتـى سـنة 1888م ولـم يشـغله نشـاطه الصحفي عن تأليف الكتب التاريخية ، حيث ألف في مجال التاريخ الكتب التالية[2]:

- تاريخ مصر الحديث : في جزأين الصادر عام 1889م .

- تاريخ الماسونية : العام الصادر عام 1889م .

- تاريخ إنجلترا منذ نشأتها إلى هذه الأيام : الصادر عام 1899م .

- تاريخ اليونان والرومان (مختصر) : الصادر عام 1897م .

- تاريخ التمدن الإسلامي : في خمسة أجزاء في مجلد الصادر عام 1902م .

- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر : الصادر عام 1902م .

- تاريخ العرب قبل الإسلام : الصادر جزؤه الأول عام 1908م .

- التاريخ العام منذ الخليقة إلى الآن : الصادر منه الجزء الأول 1908م .

- كتاب رحلة جرجي زيدان إلى أوربا : عام 1912م .

ثم كتب تـاريخ آداب اللغـة العربيـة : نشره فصـولًا صـدر أولهـا سنة 1894م فـي عـدد الهلال التاسع من السنة الثانية ، و آخرها في أواخر السنة الثالثة ، ثم شغل عنه مدة تربو

---

(1) ينظر، الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان : 2 \ 117 .

(2) الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار للملايين ، بيروت- لبنان : 2\117.

على عشر سنوات ، حيث عاد إليه وجمع مادته في كتاب حمل هذا الاسم وطبعت طبعته الأولى عام 1911م[1].

و لجرجي كتب أخرى تدور على موضوعات الحضارة الإسلامية والتاريخ العربي نذكر منها :

- كتاب الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : الصادر عام 1886م .

- كتاب تاريخ اللغة العربية : الصادر عام 1904م .

- كتاب أنساب العرب القدماء : الصادر عام 1906م .

- و كتاب بعنوان " مختارات جرجي زيدان في فلسفة الاجتماع و العمران "، الصادر عن دار الهلال عام 1920م .

- وله ديوان شعر عنوانه : نسمات الصبا .

- وله ترجمة لكتاب عن الانجليزية عنوانه : نهج التقدم .

و لعلّ ما يدعو إلى التساؤل – عند كثير من المهتمين بتراث الرجل – هذا التوجه إلى التاريخ الإسلامي ليستقي منه مادة رواياته التاريخية ، وقد فسر بعضهم هذا الأمر بقوله : " وعندما ترك لبنان واستقر في مصر ، وجد نفسه وفق ما تتطلبه بيئته الجديدة ، و اندمج في أهلها واستبطن عقلياتهم ، و استطاع بآثاره العلمية و الأدبية و الصحفية أن يرضي الطبقات المختلفة "[2]. بمعنى أنه قادر على تطويع المعارف التاريخية وغير التاريخية حزمة لعمله الصحفي و الثقافي .

---

[1] ينظر، المصدر نفسه : 2 / 117 .

[2] القصة في الأدب العربي الحديث : محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، ط3، 1966م:176.

بينما يرى بعض النقاد رأيا آخر فيقول : " وهكذا قدمنا ملاحظاتنا حول روايات جرجي زيدان التي تعمد فيها التخريب و الكذب لأجل تحقير العرب ، عن سوء قصد ، لا عن جهل فلا ينقص جرجي العلم بعد أن أوهم قرّاءه أنه عاد إلى مصادر و مراجع عربية، لكنه تعمد التحريف و تعمد الدس والتشويه ، وتعمد فساد الاستنباط مع الطعن المدروس لعمالته الأجنبية ، ولتعصبه الديني الذي جعله ينظر إلى تاريخنا العربي الإسلامي ، و آداب اللغة العربية بعين السخط والحقد "[1].

وإذا تأملنا هذه الآراء وجدناها تتفق على أن جرجي زيدان قد اتجه إلى التاريخ الإسلامي لأهداف شخصية لا علاقة لها بالرغبة في إحياء هذا التاريخ ، و ترسيخ مكانته في النفوس ، ولا يمكننا هنا أن نحاكم نوايا الرجل ونوازعه الداخلية قدر اهتمامنا بمحاولة معرفة الكيفية التي طوع من خلالها المادة التاريخية التي توافرت بين يديه بشكل فني في رواياته التاريخية الأولى .

و يعدّ جرجي زيدان ركنا من أركان النهضة العربيّة الحديثة، وعلمًا من أعلام الفكر في الشرق العربي ، ورائدًا من رواد تجديد علم التاريخ و اللغويات السامية والصحافة العربية و البحث العلمي الدقيق ، وهو أول من فكر في تبسيط التاريخ ، والجري فيه على قواعد العلم الاجتماعي و العمراني ، وعلى قواعد التقصي في كثير من التجرد العلمي ، وفي سعة من المعرفة التي تطلب الحقيقة في غير التواء ولا اعوجاج[2] . ولا شك أن الطبيعة العلمية لجرجي زيدان ، ودراساته في بداية الشباب، وميله إلى العلم و الطب و اللغات ، شكلت أسلوبه في الكتابة ورسمت أسس كتاباته التاريخية . وأسلوبه هل كان صورة عن نفسه ، أم أسلوب تلغرافي بسيط وواضح يحرص على المعنى أكثر من حرصه على اللفظ ، و هو – أي سلوبه - صورة عن رجل منبسط النفس غير معقد الاحاسيس ، غير حفي بالأناقة والطعام ، وأسلوبه الأدبي يعطينا صورة الاعتداد في

---

[1] جرجي زيدان في الميزان : شوقي أبو خليل : 307.

[2] حياة جرجي زيدان ومكانته في لأدب العربي الحديث : عذرابروين : 314 .

الطبع ، ولكن هذا لا يمنع أنه ذو عزيمة ماضية وقلب وثاب ، فهو قد هاجر من الشام عندما ضيق على المفكرين ومنعت الخطابة و حرمت الكتابة ، قاصدًا مصر مع من قصدوها ليجدوا مجالا لإعلان آرائهم[1].

ولعل هناك شكلًا آخر من طبيعته العلمية الراسخة تتمثل بأنّه كان يواجه الانتقادات والحملات بأسلوبه ولياقته الشخصية ، فلم ينزعج منها وتجاوزها بسخاء. ويعد جرجي زيدان من رجال الفكر و أسلوبه هو أسلوب العلماء الذين يعتقدون أن الألفاظ هي أدوات المعاني . ولعل دراسته للطب في بداية حياته أعطته هذه الطبيعة العلمية ، و يقف جرجي زيدان على إحدى القاعدتين اللتين أشرق عليهما فجر النهضة الفكرية في الشرق ، قاعدة " لطفي السيد (ت 1963م) " الذي رسم صورة الثقافة المصرية و فتح الباب للنقد الأدبي ، و قاعدة جرجي زيدان الذي أدخل في الفكر العربي المعاصر منهج البحث العلمي ووضع خطوط البحث الأولى التي جاءت بعده في تاريخ الإسلام و الأدب العربي[2] وينطلق جرجي زيدان من تصور عام لمهمة التاريخ فهو يشير في مقدمة إحدى رواياته التاريخية إلى حقيقة يختصرها بقوله : " وقد رأينا بالاختبار أن نشر التاريخ على أسلوب الرواية أفضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعته ، و الاستفادة منه ، خصوصًا أننا نتوخى جهدنا في أن يكون التاريخ حاكما على الرواية لا هي عليه كما فعل بعض كتبة الإفرنج ، و منهم من جعل غرضه الأول تأليف الرواية و إنما جاء بالحقائق التاريخية لإلباس الرواية ثوب الحقيقة . فيجره ذلك إلى التساهل في سرد الحوادث بما يضل القراء . وأما نحن فالعمدة في روايتنا على التاريخ ، و إنما نأتي بحوادث الرواية تشويقا للمطالعين فتبقى الحوادث التاريخية على حالها و ندمج في مجالها قصة غرامية تشوق المطالع إلى استتمام قراءتها، فيصبح الاعتماد على ما يجيء في الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ من حيث

---

[1] ينظر، من أعلام الفكر و الأدب : أنور الجندي ، القاهرة ، دون تاريخ للطبعة ، 1964م : 85 .

[2] ينظر، من أعلام الفكر والأدب : أنور الجندي : 86.

الزمان و المكان و الأشخاص إلى ما تقتضيه من التوسع في الوصف مما لا تأثير له على وصف العادات و الأخلاق "[1].

أما بالنسبة للقصص التاريخية ، فقد عاملها جرجي زيدان بأسلوب الإنجليزي (ولتر سكوت) روائي القرن التاسع عشر الفرنسي الذي قدم التاريخ بطريقة الرواية المشوقة و السرد الممتع[2] . وكان جرجي زيدان رائد هذا الفن في العالم العربي ، فكتب رواياته التي روى فيها تاريخ العرب المسلمين و تاريخ مصر الحديث و تاريخ الانقلاب العثماني . واعتمد أكثر على عنصر المفاجأة للتشويق - كما سيتضح لنا لاحقًا – وكان زيدان يستل أحداث رواياته من التاريخ القديم و المعاصر، محاولًا الحفاظ على شروط الرواية التاريخية التي يتضافر في تأليفه لها الصدق الفني مع الصدق التاريخي إلى درجة كبيرة أحيانا . فهو يروي قصصه بطريقة ممتعة ، وفيه مزيج من تاريخ أصيل و تخييل فني يزيد السرد متعة ، وبعيدا عن الجفاف الذي يبتلى به التاريخ و أحداثه ، وبذلك استطاع زيدان أن يحقق النجاح بقصصه في الوطن العربي ، وبسلاسة كتابته واختياره للموضوعات الشيقة تمكن من تعويض النقص الذي لا تخلو منه رواياته [3] فضلًا عن كونه كاتبا يحرص على أن يعكس روح العصر الذي يصوّره ليكشف عن وجدان الإنسان الذي يحيا فيه .

و يمكن تلخيص الأسس الفكرية التي كان جرجي زيدان يصدرها في كل ما قدم ونشر في ثلاثة مبادئ كما يذهب أحد الباحثين[4] :

---

[1] الحجاج بن يوسف : جرجي زيدان : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة : 1 .

[2] ينظر، في الأدب الحديث : عمر الدسوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط7 ، 1966م ، 1\ 492 .

[3] ينظر ، دراسات في نقد الرواية : د . طه وادي ، دار الهلال – القاهرة ، ط1 ، 1984م : 95 .

[4] ينظر ، دراسات في الأدب العربي الحديث : د. محمد مصطفى هدارة ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 1410 – 1990م : 343.

1- الحقيقة تعرض نفسها ولكن لابد من البحث عنها .

2- الحس السليم هو القاعدة والمنطلق في كل سلوك بشري قويم .

3– التسامح أو البعد عن العصبيات أفضل ما يزدان به المجتمع .

و قد عرف جرجي زيدان برواياته التاريخية الشهيرة التي بدأها برواية " المملوك الشارد " الصادرة سنة (1891م) ، ثم تتابعت رواياته حتى بلغت إحدى وعشرين رواية تاريخية ، منها سبع عشرة رواية تعالج فترات من التاريخ الإسلامي ، تمتد من الفتح الإسلامي إلى دولة المماليك : مثل : أرمانوسة المصرية ، غادة كربلاء ، فتح الأندلس ، العباسة أخت الرشيد ، الأمين والمأمون ، شجرة الدر ، استبداد المماليك . وحظيت هذه الروايات بشعبية واسعة وطلب كبير و قد ترجمت إلى اللغات الفارسية و التركية و الأذربيجانية و لغات أخرى . و تكمن أهمية هذه الروايات في أنها قدمت التاريخ بشكل سهل و ممتع ، وبلغة جذابة تشجع القراء على متابعة أحداثه دون صعوبة أو ملل. إلا أن هذه الروايات لم تسلم– بسبب ريادتها التاريخية - من النقد من حيث الشكل والمضمون .[1]

ويعرض الباحثون آراءهم المختلفة حول جرجي زيدان ، و هي آراء تعبر عن مواقف متناقضة أحيانا ، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على إن جرجي زيدان شخصية قلقة ، و إن أدبه أدب إشكالي .

فـ" جرجي أفندي زيدان من أكبر كتاب التاريخ في مصر ، بل لا أبالغ إذا قلت أنه الرجل الوحيد المتفرغ في الوقت الحاضر لكتابة التاريخ "[2] كما يصفه أحدهم .

---

[1] ينظر، أعلام العرب جرجي زيدان :محمد عبد الغني حسن ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970 م: 95 .

[2] أوقات الفراغ : محمد حسين هيكل ، ط2 ، القاهرة ، 1968م : 215.

أما عند العقاد فجرجي زيدان " من كتاب ما يسميه هو بالحاسة الاجتماعية ، ونسميه نحن بكتاب الاستواء والطبع السليم ، نقرأ جرجي زيدان في جميع موضوعاته ؛ فإذا هو مطبوع السداد والاستقامة السواء . وهي جدول وليست بشلال ، وهي بنت الدوام وليست بنت الفلتات واللمحات "[1].

ويصف طه حسين صاحب مجلة " الهلال " بأنه : " من رجال هذا الجيل الساخط الطامح وكانت مجلة " الهلال " نتيجة من نتائج سخطه وطموحه ، وجرجي زيدان لم يكن ارستقراطي الأدب ، و أنما كان رجلًا يجمع بين نزعتين مختلفتين أشد الاختلاف ، ولكنهما نافعتان أشد النفع إحداهما النزعة العلمية التي تظهر فيما كتب من التاريخ الأدبي والسياسي ومن تاريخ الحضارة ، والثانية النزعة الشعبية التي تظهر في هذه الكتب التاريخية نفسها ، وتظهر بنوع خاص في قصصه وفصوله الثقافية العامة "[2]. أما شوقي أبو خليل فيقول " يواجه تاريخنا العربي و أعلامه محاولة مدروسة دقيقة ، لتزييفه و إفساده ، وتمييع قيمه و مثله ، وهي محاولة لم نشهد أخطر من سمومها و طعناتها و دسائسها ... كل ذلك في عرض روائي جذاب شيق هدفه طرح أرضية تاريخية و فكرية واسعة لإثارة الشبهات حول تاريخنا و تراثنا وآدابنا ورجالاتنا "[3]. ولا ندري لم يسم هذا الكاتب روايات جرجي زيدان بـ السموم الحقيقية التي قدمت إلى شباب جيلين من أجيال أمتنا العربية ، عن طريق قصص تقوم على الحبكة الغرامية الخيالية ، وكأن الحب هو من النوازع الغريزية عند الأنسان أمر محرم على الأدب والصحافة التي استغلها جرجي لإيصال صوته إلى الناس من خلال مجلته المشهورة وواسعة الرواج " الهلال ".

أما د. عبد المحسن طه بدر: فقد قال عن روايات زيدان : " إن جرجي زيدان حين يختار موضوع رواياته لا يلجأ إلى الفترات المشرقة التي تمثل أمجاد التاريخ العربي

---

[1](نقلًا عن) من أعلام الفكر و الأدب : أنور الجندي ، القاهرة ، 1964م : 86.

[2] (نقلًا عن) من أعلام الفكر والأدب : أنور الجندي : 87 .

[3] ينظر ، جورجي زيدان في الميزان : شوقي أبو خليل : 308 وما بعدها .

دائمًا ولكنه يختار المواقف الحساسة التي تمثل صراعًا بين مذهبين سياسيين ، أو كتلتين تتصارعان على النفوذ والسيطرة... أن جرجي زيدان لا يتجه إلى التاريخ العربي بإحساس قومي يدفعه إلى إبراز أمجاد هذا التاريخ، وإنما يقصد إلى تعليم التاريخ و تسلية قارئة ليس إلا "[1].

وهكذا يتضح لنا أن أدب جرجي زيدان ورواياته التاريخية كانت موضع شدّ وجذب بين المثقفين العرب من الجيل التالي لجيل جرجي زيدان ، وهذا دليل على خطورة هذا الأدب وقدرته على إثارة الأسئلة ولا سيما في العصر الذي كتب فيه .

---

[1] تطور الرواية العربية الحديثة في مصر 1870 - 1930 : د. عبد المحسن طه بدر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، 1992: 99.

المطلب الثاني: روايات جرجي زيدان بين الواقع و التخييل (مدخل تعريفي):

ارتبط ظهور الفن الروائي عند العرب في العصر الحديث بالنزعة إلى التعليم و التثقيف و لم يدخل في اعتبار روّاد هذا الفن إنهم كانوا يقدمون إلى قرائهم رواية متكاملة العناصر قدر حاجتهم إلى تسخير هذا الفن السردي إلى مآربهم و مراميهم الخاصة [1].

والرواية : " شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال و الأصول كاللغة ، و الشخصيات ، و الزمان ، و المكان ، و الحدث ، يربط بينها طائفة من التقنيات كالسرد ، و الوصف ، و الحبكة ، و الصراع ، وهي سيرة تشبه التركيب بالقياس إلى المصور السينمائي ، بحيث تظهر هذه الشخصيات من أجل أن تتصارع طورا ، و تتحارب طورا آخر ، لينتهي بها النص إلى نهاية مرسومة بدقة متناهية ، وعناية شديدة "[2].

و يُعرف الخطاب الروائي بأنه : " بنية لغوية دالة ! وهو تشكيل لغوي سردي دال ، يصوغ عالما موحدا خاصا ، تتنوع و تتعدد و تختلف في داخله اللغات والأساليب و الأحداث و الأشخاص و الأصوات و العلاقات و الأمكنة و الأزمنة ، دون أن يقضي هذا التنوع والتعدد و الاختلاف على خصوصية هذا العالم ووحدته الدالة، بل يؤسسها "[3].

وتعدُ الرواية التاريخية أحد أهم أنواع الرواية و أقدمها ظهورًا ، و قد تعددت تعريفات النقاد العرب و الأجانب لها ، إلا أنها تتفق جميعًا على اعتمادها التاريخ مادةً أساسية للعمل الروائي . و يمكننا التمييز بين نوعين من التعريفات ، يتمثل النوع الأول في التناول التقليدي للرواية التاريخية ، وهو نوع يحرص على الأمانة في نقل الأحداث

---

[1] ينظر ، تطور الرواية العربية : عبد المحسن طه بدر : 57 .

[2] في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد : د. عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 240، 1923-1990: 24.

[3] البنية والدلالة في القصة و الرواية العربية المعاصرة : محمود أمين العالم ، دار المستقبل العربي ، 41 شارع بيروت – مصر الجديدة – القاهرة : 24.

التاريخية وعدم تزييفها ، أما النوع الآخر فيتمثل في التناول الحداثي والجديد للتاريخ ، حيث تستعمل الرواية التاريخ مادة خاماً ، لا لنقلها أو إعادة صياغتها ، ولكن لتحقيق أهداف روائية لا تتحقق إلا بها[1].

ولعلّ أهم التعريفات التي تمثل الجانب التقليدي للرواية التاريخية تعريف معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة للرواية التاريخية بأنها : " سرد قصصي يرتكز على وقائع تاريخية ، تنسج حولها كتابات تحديثية ذات بعد إيهامي معرفي ، وتنحوالرواية التاريخية غالبًا إلى إقامة وظيفة تعليمية و تربوية "[2] .

في حين برزت تحديدات أخرى للرواية التاريخية مع تطور الرؤية النقدية الحديثة لتكون : " بنية زمنية متخيلة خاصة ، داخل البنية الحديثة الواقعية ، أو بتعبير آخر هي تاريخ متخيل خاص داخل التاريخ الموضوعي وقد يكون هذا التاريخ المتخيل تاريخًا جزئيًا أو عامًا ، ذاتيًا أو مجتمعيًا ، وقد يكون تاريخًا لشخص أو لحدث أو لموقف أو لخبرة أو لجماعة ، أو للحظة تحول اجتماعي إلى غير ذلك . وعلى الرغم من الاختلاف في الطبيعة البنيوية الزمنية بين المتخيل والموضوعي ، فإن بين الزمنين أو التاريخين علاقة ضرورية ، أكبر من تزامنها ، هي علاقة التفاعل بينهما . فبنية الرواية لا تنشأ من فراغ ، و إنما هي ثمرة للبنية الواقعية السائدة الاجتماعية و الحياتية و الثقافية على السواء ، وهي ثمرة بلغة التخييل لا بلغة الاستنساخ والانعكاس المباشر "[3] .

و لذا فقد اختلف مفهوم الرواية التاريخية من مؤلف إلى آخر . ففي حين نجد بعضهم يقول : إنه كتب الرواية التاريخية من أجل " التعليم " نجد فريقًا آخر يقول إنه كتب

---

[1] ينظر، تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي : محمد محمد حسن طبيل ، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الإسلامية ، غزة ، كلية الآداب – قسم اللغة العربية ، 1437، 2016م:2.

[2] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1985م :103.

[3] البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة : محمود أمين العالم : 13.

الرواية التاريخية من أجل الغوص في أعماق الإنسان في كل مكان و زمان و بالتالي الخروج بتجربة إنسانية يتنبه لها الإنسان المعاصر ويدرك خلفياتها ، ويزداد وعيه بالحياة . وعلى رأس الفريق الثاني محمد سعيد العريان ، و نجيب الكيلاني . وهذا الفريق ظهر في موسم الحصاد المثمر . أي بعد هضم مفهوم الرواية التاريخية هضمًا جيدًا ، ووصل إلى درجة الاقتناع بأن يكون التاريخ شعلة تضيء طريق الروائي ، فيستلهمه في كتابة (رواية إبداعية) يرسمها مستضيئًا بأحداث تاريخية ، إلى أن يصل إلى هدف مرسوم تتجلى فيه تجارب إنسانية عميقة صالحة لكل زمان و مكان ، وهذا الفريق نفسه يحترم القارئ ويجله ويقدر فيه نصيبا من الذكاء والفهم . فوصل بعمله إلى درجة رفيعة[1].أما الفريق الأول الذي كتب الرواية التاريخية للتعليم فعلى رأسهم جرجي زيدان ، الذي كتب إحدى وعشرين رواية تاريخية تدور حول مختلف العصور الإسلامية . وأطلق عليها (روايات تاريخ الإسلام) [2].

قد مر بنا أن " نشر التاريخ بأسلوب الرواية عند جرجي زيدان ، أفضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعته ، و الاستزادة منه ، وفكرة الترغيب بالتاريخ دفعته إلى التوثيق ، و التهميش، وهي التي دفعته إلى استزراع قصة غرامية عاطفية يجذب بها القارئ و تساعد على ربط الأحداث التاريخية ، ويبدو أن جرجي زيدان كانت معرفته ضئيلة بأسرار الفن الروائي ، و أن الهدف التعليمي غلب الصنعة الروائية ، فاعتمد على النقل المباشر عن الشخصيات التاريخية التي استعان بها في رواياته ، ولذلك يبدو أن منهج جرجي زيدان في الرواية كان بدائيًا ، لأن التاريخ هو المتكأ لحقائقه ، و مقرراته ، و أن الهدف مجرد معرفة التاريخ فيكتفي بمجرد عرض الأحداث "[3]. فضلًا عن كون

---

[1] ينظر ، الأدب المقارن مقدمة إلى جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، 1409 : 168.

[2] المصدر نفسه : 168.

[3] طه حسين والفن القصصي : د. محمد نجيب أحمد ، دار الهداية ، ط1، 1407 – 1987م : 84 – 85.

جرجي زيدان أول من حاول تجريب كتابة الرواية في الأدب العربي الحديث فكان الوقوع بالأخطاء في التقنية الروائية أمراً لا مهرب منه.

و تحتوي روايات زيدان عنصرين أساسيين ، الأول : عنصر تاريخي يعتمد على الحوادث ، و الأشخاص التاريخية ، والثاني : عنصر خيالي يقوم على علاقة غرامية بين محبين تقف بينهما الحوائل ، ويتم اجتماع الشمل[1]. وعلى هذا الاساس نشر سلسلة من الروايات التاريخية المتشابهة لروايات " ولتر سكوت " الإنجليزية ، التي رفعت مستوى هذا النمط من الرواية إلى مستوى أعلى من حيث صقل الأسلوب ، وزيادة شعبيته ، و اختار عددًا من أحداث التاريخ الإسلامي كحبكات لرواياته.

وسنعرض عرضًا موجزًا لأهم روايات جرجي زيدان التي استوحى فيها تاريخ الإسلام و المسلمين خلال رحلته الطويلة في كتابة هذا اللون من الفن السردي ، و كالآتي :

1- المملوك الشارد (1891م): تتناول الرواية وقائع تاريخية حدثت في سوريا ومصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وتهتم الرواية في ذكرها لهذه الأحداث على شخصيات محورية في ذلك العصر، مثل محمد علي باشا الكبير والي مصر و أول من أسس مصر التاريخية الحديثة ، و إبراهيم باشا خليفته ، والأمير بشير الشهابي أمير لبنان ، وأمين بك أحد أمراء المماليك[2].
2- أسير المتمهدي (1892م): جاءت هذه الرواية وصفًا للأحداث التي مرت بها كل من مصر والسودان في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ومؤامرات الدول الأجنبية ومكائدها التي كانت السبب في ثورة عرابي في مصر بقيادة أحمد عرابي ،

---

[1] ينظر ، ملامح الرواية التاريخية عند جورجي زيدان " رواية غادة كربلاء-نموذجا- " : كلثوم بقريش ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، جامعة محمد بو ضياف – المسيلة- كلية الآداب واللغات ، اللغة والادب العربي، م أ 4 \116 ،2014: 10.

[2] ينظر ، المملوك الشارد : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1891م .

و الثورة المهدية في السودان بقيادة محمد أحمد المهدي ، كما تذكر الرواية وقائع الاحتلال البريطاني لوادي النيل . وقد عاش جرجي زيدان بعض وقائع هذه الأحداث ، حيث أرسل زيدان مترجمًا مع الحملة البريطانية متوجهًا إلى السودان لإنهاء الحصار الذي أقامه المتمهدي وجيوشه ضد القائد البريطاني غوردون.

وفي الجانب الخيالي من هذه الرواية نجد قصة حب بين شفيق ابن أحد موظفي القنصلية الإنجليزية وفدوى ابنة أحد الباشاوات المصريين . ضمن قصة الحب هذه ، يطوف بنا زيدان بين مصر والسودان و أوربا والشام ، واصفًا عادات كل دولة وأحوالها وأخلاق أهلها ، حتى تنتهي الرواية . كعادة زيدان في جميع رواياته بانتصار الخير على قوى الشر و لقاء الأحبة[1].

3- استبداد المماليك (1892م): تتحدث الرواية عن أخبار علي بك الكبير ، ومن عاصروه في ذلك الوقت ، كما تذكر وقائع الحرب التي وقعت في ذلك الوقت بين تركيا وروسيا ، و تشمل الرواية وصفًا للأوضاع السياسية و الاجتماعية التي مرت بها مصر وسوريا في نهاية القرن الثامن عشر ، كما أشارت إلى ظاهرة استبداد الحكام والدور الذي تؤديه المؤامرات والدسائس في ضبط الحكم[2] .

4- أرمانوسة المصرية (1895 م) : تتناول أحداث الرواية أرمانوسة ابنة المقوقس الحاكم البيزنطي لمصر إبان الفتح الإسلامي من خلال هذه الشخصية الروائية ، يروي جرجي تفاصيل فتح مصر على يد عمرو بن العاص في بداية الإسلام (640 م) في عهد خلافة عمر بن الخطاب . كما تتناول أوضاع العرب وعاداتهم وأخلاقهم وأزياءهم وحالة الأقباط والرومان في ذلك العصر.[3]

---

[1] ينظر، أسير المتمهدي : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1892م .

[2] ينظر، استبداد المماليك : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1892م .

[3] ينظر، أرمانوسة المصرية : جرجي زيدان ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، ط2 ، 1988م .

5- فتـاة غسـان (1896م): تشـمل أحـداث الروايـة وصـف أحـوال العـرب منـذ ظهـور الإسلام على يد الرسول محمد ﷺ ، مرورًا بفتح مكة في عام (8 هـ) وحتى عهد عمر بن الخطاب وما حدث في عهده من اتساع نطاق الحكم الإسلامي الذي شمل العراق وبلاد فارس والشام ويتخلل الرواية وصف العادات والتقاليد الاجتماعية والأخلاقية التي عاشها العرب في تلك الفترة الزمنية [1].

6- عذراء قريش (1898م) : تتحدث هذه الرواية عن قصة (أسماء) الفتاة المسلمة الجميلة التي تحمل تميمة مسيحية حول رقبتها ووشماً صليبيا محفورا على ساعدها ، توفيت والدتها قبل أن تكشف السر الذي أخفته لفترة طويلة وهي في لحظاتها الأخيرة ، وكذلك تناولت الأسباب التي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفان " رضي الله عنه " وتمتد زمنيًا لتشمل خلافة الإمام علي بن أبي طالب" عليه السلام " وما نجم عن ذلك من فتن وثورات . ثم وقعتي الجمل وصفين بعد مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة ، ثم حادثة التحكيم ومناداة معاوية لنفسه بالخلافة. وخروج مصر من خلافة الإمام علي بن أبي طالب " عليه السلام " .

القسم الخيالي في هذه الرواية هو قصة الحب بين محمد بن أبي بكر وأسماء بنت مريم (عذراء قريش). وجرجي زيدان كعادته في رواياته وظف هذه الحادثة لربط أجزاء الرواية وتجميع خيوط القصة المتناثرة.[2].

7- 17رمضان (1899م) : ونجد عند تقديمنا موجزا لهذه الرواية أن الواجب أن نعطي تلخيصا مستفيضا يعرّف بهذه الرواية للقارئ الذي لم يطّلع عليها ، ولكي يدخل بعد اطلاعه على هذا الموجز في أجواء هذا البحث .

تدور أحداث هذه الرواية الرئيسة في الكوفة ، وتتوارد فضاءات لأمكنة أخرى من الحواضر الإسلامية المزدهرة في سنة 40 هجري كمكة المكرمة ودمشق والفسطاط

---

[1] ينظر ، فتاة غسان : جرجي زيدان ، دار الجبل ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1988م .

[2] ينظر ، عذراء قريش : جرجي زيدان ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، ط2 ، 1898م .

بمصر وغيرها ، وفي الكوفة حيث كان الإمام علي (عليه السلام) الحاكم الشرعي المنتخب كانت هناك امرأة ذات دلّ وغنج (اسمها قطام = غادة الكوفة) وقد عشعشت في رأسها فكرة الانتقام من هذا الحاكم ثأرا لأبيها وأخيها المقتولين بمعركة (النهروان) وهي المعركة التي خرج فيها أتباع الإمام علي المنشقون عليه رفضا لقبوله مبدأ (التحكيم) الذي أجبروه عليه عندما رفع أصحاب معاوية مصاحفهم بعد أن اقترب أهل الكوفة من الفتك بأهل الشام وتغيير مسيرة التاريخ التي جاءت فيما بعد بمعاوية لحكم المسلمين بتخطيط ودهاء أعانه عليه أكثر الناس مكرا –آنذاك- أي عمرو بن العاص.

وكانت قطام عازمة على هدفها رغم صعوبته في الكوفة (معقل أتباع علي وأنصاره) ورغم تخلي الناس عنها إلا عبدها (ريحان) ومربيتها العجوز (لبابة) التي كانت تبث شكواها إليها كلما حنت لأهلها ، وكانت لبابة تعلم بنية قطام وقد أرشدتها مرة إلى (سعيد الشاب الأموي الذي رأى قطام مرة فوقع في غرامها) لكي يعينها على تحقيق مآربها عن طريق استغلال عاطفته الجياشة رغم عدم ثقتها –وكما صرحت للعجوز لبابة - بقدرته على تخقيق بغيتها التي أعلنت عنها لسعيد بعد أن دبرت العجوز لقاء بعيدا عن الأعين في دار قطام المنفرد والواقع في ضواحي الكوفة.

وبعد أن خدع سعيدا جمال قطام الخلاب والحزين عاهدها على تنفيذ مآربها ، فلم يكفها منه ذلك إلا بعد أن كتبت له كتابا باسمه يعاهدها فيه على أن مهر زواجه منها هو رأس خليفة المسلمين (علي بن أبي طالب)، وما أن خرج من دارها حتى بدأت تصارعه الوساوس وهو الأموي الهوى الذي كان يتردد على الكوفة معقل أنصار علي ، وفي طريقه إلى داره يلقى أحد أبناء عمومته الذي أمضى الساعات باحثا عنه ، وما أن اصطدم به في قارعة الطريق بهت واحتار في السبب الذي جاء بعبد الله (ابن عمه) الذي بادره بالقول إن جدك (أبا رحاب) ينازع الموت – في مكة - وهو يرجو لقاءك ليبلغك وصيته الأخيرة التي كان فحواها ، بعد أن قص عليه أنباء علي ومعاوية في صفين وأنباء علي والخوارج في النهروان وكيف أن عليا كان لا يجامل في الحق ولا ينصر ظالما ولو بحزّ رقبته ، وكيف آلت أمور المسلمين إلى هذه الهاوية بسبب فتنة

السلطة التي كان يعشقها معاوية وابن العاص : يا ولدي عاهدني ألّا تعادي عليا وألّا تتسبب له بسوء ، فالناس انقسمت بين الشر والخير فكن مع الخير ... نعم أعاهدك يا جدي على ذلك !

واشتدت الأمور على سعيد الذي تصارعت في داخله نزعتان متناقضتان (خير وشر) وقد شاءت له الأقدار أن يسمع – ذات ليلة - في طرقات مكة أشخاصا ثلاثة يتعاهدون – مقسمين بالكعبة - على قتل رموز السلطة – آنذاك- (علي ومعاوية وابن العاص) لتخليص الناس من النزاعات والدم دون أن يبالوا بالخطر الناجم عن مثل هذا القرار الخطر والجريء. ولم يكن سعيد يعرف أحدا من هؤلاء ، غير أنه سمع أن من تعهد بقتل علي هو من فسطاط مصر واسمه عبد الرحمن ، وإن موعد تنفيذ الجريمة الثلاثية هي ليلة السابع عشر من رمضان المبارك وإن ساعتها صلاة الفجر.

وحين عاد سعيد للكوفة التقى بلبابة على أمل أن تخبر قطام بعدوله عن رأيه ، وإنه لزام عليه بعد عهده لجده الراحل أن يدافع عن علي بن أبي طالب وأن يسهم في تخريب مؤامرة اغتياله التي اطلع على تفاصيلها تحت أستار الكعبة في جنح الظلام ، وإنه يتوسل إليها أن تقنع قطام بالعدول عن رغبة الانتقام ، فوعدته العجوز خيرا وضربت له موعدا يلقى به قطام للتشاور في الأمر. وعند اللقاء الذي جمعه بها كان عبد الله حاضرا تفاجأ الاثنان بمبادرة قطام للتنازل عن رغبتها في الانتقام من علي ، بل إن قطام دعت سعيد للسفر إلى مصر للتعرف على صاحب مهمة قتل الإمام ودفعه عن فعله وردعه بإقناعه ، ولكن قطام لما رأت في سعيد تراجعا عن نيته وصدقا في حفظه لعهده لجده أرادت إبعاده عن الكوفة وطلبت منه الكتمان لئلا يقع الخبر في أذان أتباع علي فيشددون الحراسة عليه وينجو من المؤامرة ، فضلا عن أنها أرسلت عبدها للوشاية بسعيد وعبد الله !

ويلتقي سعيد بخولة التي تعرف أسرارا كثيرة عن عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وإنه توجه للكوفة للغدر بعلي ، وإن وشاية تسببت في سجن الآلاف من أتباع علي في مصر بسبب أمر مجهول سيقع ، بينما يصل الكوفة ابن ملجم ويلتقي بمساعدة ريحان و لبابة و

قطام التي تثير إعجابه ، فيخطبها على الشرط الذي تطلب ، وإن تحقيقه بات قريبا وهو هذه الليلة (17 رمضان) التي كانت تحبس فيها القلوب المنقطعة للعبادة ، وهي الليلة – ذاتها - التي يصل فيها سعيد إلى الكوفة بعد رحلة سريعة ومضنية لإدراك الإمام وتبليغه بالمؤامرة ، لكن حرس الإمام يظنون أن سعيدا الأموي هو المأمور بقتل الإمام والدليل العهد الذي كتبه بكتاب أخرجوه له ، وهو الكتاب الذي أوصلته قطام بطريقة ما ، فيسجن للتحقيق معه ... بينما خيوط المؤامرة تحاك بتخطيط قطام التي تجمع السحر والجمال إلى جانب الدهاء والخديعة ، ويقتل الإمام وهو ساجد مغدورا ، لينجوا عمرو بن العاص ومعاوية اللذين جعلا الحكم عضوضا وتركا سنة من سبقهما في المشورة والاختيار الحر[1].

8- غادة كربلاء (1900م): تدور أحداث الرواية حول وقائع تاريخية حدثت في العصر الأموي ومنها مقتل الإمام الحسين بن علي وعائلته في كربلاء ، كما تطرقت للحديث عن ولاية يزيد بن معاوية للخلافة الإسلامية التي شهدت العديد من الأحداث والفتن خلال تلك المرحلة التاريخية التي حكم فيها يزيد الأمة الإسلامية حتى وفاته عام 64 من الهجرة [2].

9- الحجاج بن يوسف الثقفي (1901 م): تدور أحداث الرواية عن شخصية تاريخية أثارت الجدل في التاريخ الإسلامي ، وهي شخصية السياسي الأموي والقائد العسكري " الحجاج بن يوسف الثقفي " الذي لم يدخر جهدًا في إرساء أسس الدولة الأموية ، وقد أشتهر عنه أنه شديد البطش بخصومه ظلومًا ، حتى أنه في حربه مع عبد الله بن الزبير لم يتردد بحصار مكة وضربها بالمجانيق مما أدى إلى تدمير

---

[1] ينظر ، 17 رمضان : جرجي زيدان ، المكتبة الأدبية – بيروت ، 1899م.

[2] ينظر ، غادة كربلاء : جرجي زيدان ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، ط2 ، 1901م .

الكعبة ونسبت له أعمال أخرى ارتبطت بالفتوح الإسلامية ، وتخطيط المدن ، وتنقيط القرآن الكريم [1].

يدور الجانب الخيالي من الرواية حول حب " سمية بنت عرفجة " لحسن من أهل العراق الذي ينافسه في الحب هنا الحجاج بن يوسف الذي رفضته سمية .

10- فتح الأندلس (1902 م): تدور أحداث الرواية حول الفترة الممتدة للحكم الإسلامي في الأندلس. وتتضمن هذه الرواية بيانًا عن التاريخ الإسباني قبل الفتح الإسلامي مع وصف للأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة بين أبنائها أثناء حكم القوط ، كما تتناول الرواية الحقائق التاريخية التي شهدت فتح الأندلس على يد القائد طارق بن زياد ومقتل (رودريك) ملك القوط. على الرغم من محورية طارق بن زياد كشخصية تاريخية ، فقد حظيت بالبطولة الروائية (فلورندا) ، ابنة الكونت (يوليان) حاكم سبتة ، وخطيبة ابن الملك القوطي ، والقسم الخيالي في هذه الرواية هو قصة حب عنيفة بين بطلة الرواية (فلورندا)و(ألفونس)[2].

11- شارل و عبد الرحمن (1903م) : تتحدث الرواية عن الحقبة التي وصلت فيها الفتوحات العربية و الإسلامية إلى فرنسا ، وضفاف نهر (لورا) بجوار تورس ، كما تتناول الأحداث والحقائق التاريخية التي رافقت هذه الفتوحات ، والشخصيات العربية و الأجنبية التي لعبت دورًا مهمًا في هذه المرحلة التاريخية ، مثل شخصية (شارل مارتل) ، حيث كان رئيسًا للبلاط ودوق الفرنجة و مؤسس الإمبراطورية

---

[3] ينظر ، الحجاج بن يوسف الثقفي : جرجي زيدان ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1902م.

[1] ينظر ، فتح الأندلس : جرجي زيدان ، دار الجيل، لبنان – بيروت ، 1903م.

الكارولينجية[1]، و استطاع أن يتصدى للفاتحين العرب و المسلمين عند تورس وردهم عن أوربا في معركة بلاط الشهداء 732م[2].

12 - أبو مسلم الخراساني (1904م): تدور أحداثها عن وقائع مهمة في التاريخ الإسلامي ، منها كيف سقطت الدولة الأموية التي حكمها الأمويون كأول أسرة مسلمة حاكمة ، وكيف نهضت الدولة العباسية بعد سقوط الدولة الأموية ، كما ذكر جرجي زيدان مسعى أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية في خراسان لنصرة ملك الدولة العباسية بالقتل والفتك وشدة البطش ، وكيف قتل أبو مسلم بعد ذلك . كما تطرق جرجي زيدان إلى فترة ولاية أبي جعفر المنصور ، وتضمنت تلك الوقائع والأحداث التاريخية وصفًا لعادات وأخلاق الخراسانيين واستياء الموالين من الأمويين وانضمامهم لأبي مسلم ، وتنافس بني هاشم على البيعة .

وتدور القصة الخيالية في هذه الرواية حول قصة حب لا أمل فيه وبطلا هذا الحب هما (جلنار) ابنة دهقان مرو ، و أبو مسلم الخراساني الذي لم يأبه لحبها و عواطفها . لأنه لم يكن له مأرب في النساء ، لكونه يخشى أن يقف ذلك حائلًا بينه وبين ما يطمح إليه[3].

13 - العباسة أخت الرشيد (1905م): في هذه الرواية تناول جرجي زيدان أحداث تاريخية مهمة من خلال قصة العباسة أخت الخليفة هارون الرشيد ، مزج بين منطق الرواية التاريخية المبني على الخيال وبناء الشخصية وتفاصيل المشهد ، وبين منطق مادة تاريخية تقوم على حقائق وأحداث فعلية ، وشمل العمل نكبة البرامكة و أسبابها ،

---

[1] مصطلح تاريخي استخدم للإشارة إلى مملكة الفرنجة تحت حكم الأسرة الكارولنجية في أوائل العصور الوسطى . ينظر لهذه الأسرة على أنها مؤسسة فرنسا و ألمانيا ، ويبدأ تاريخ بدايتها معتمدًا على تتويج شارلمان ، أو شارل العظيم ، وتنتهي بوفاة شارل السمين . الامبراطورية الكارولنجية - المعرفة(marefa.org) .

[1] ينظر ، شارل و عبد الرحمن : جرجي زيدان ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، 1904م.

[2]ينظر ، أبو مسلم الخراساني : جرجي زيدان ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، 1911م .

إضافةً إلى ذلك وصف مجالس الخلفاء العباسيين ، وملابسهم ، ومواكبهم ، وحضارة دولتهم في عهد الرشيد ، وزواج جعفر البرمكي بالعباسة شقيقة الرشيد ، ومما أدى هذا الأمر إلى مصائب وويلات أدت بحياتها.[1]

14 - الأمين و المأمون (1906م) : تدور أحداث هذه الرواية حول النزاع بين الأمين والمأمون على الخلافة بعد وفاة والدهم الخليفة هارون الرشيد ، بعد ذلك تطورت الأحداث إلى صراع بين الشقيقين ، دخل فيه الأحلاف والموالون ، و لعبت فيه المؤامرات دورًا كبيرًا ، حيث دعم الفرس المأمون ضد أخيه الأمين حتى سقطت بغداد وقتل الأمين على يد انصار المأمون. في الجانب الخيالي من هذه الرواية تدور الأحداث حول بطلين خياليين (ميمونه بنت جعفر) و (بهزاد) حفيد أبي مسلم الخراساني الذي يبادلها الحب ، ويسعى الاثنان للانتقام[2].

15 - عروس فرغانة (1907م): في هذه الرواية وصفٌ للوقائع التاريخية التي مرت بها الدولة العباسية وعاصمتها (سامراء) في عهد الخليفة المعتصم ، كما تصور الرواية جشع الفرس ومحاولتهم لاستعادة دولتهم ونهوض الروم واستعدادهم لغزو واجتياح المملكة الإسلامية.

وتتناول الرواية في جانبها الخيالي قصة حب بين جمان وضرغام ، ومنافسه الأفشين . تتمتع البطلة بقدر كبير من الجمال، بالإضافة إلى قوتها وشجاعتها وكبريائها ، مع قدرتها على ركوب الخيل والسباق والخروج للصيد ، لذلك كانت نادرة عصرها ، لذلك أحبها الفرغانيون وأطلقوا عليها لقب عروس فرغانة[3] .

---

[3] ينظر ، العباسة أخت الرشيد : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1905م.

[1] ينظر ، الأمين و المأمون : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1906م .

[2] ينظر ، عروس فرغانة : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1907م.

16 - أحمد بن طولون (1908م): تتضمن الرواية الأحداث التاريخية المهمة التي حدثت في عهد أحمد بن طولون ،ووصفًا لمصر وبلد النوبة في منتصف القرن الثالث الهجري ، كما تعتني الرواية بوصف الأوضاع السياسية والاجتماعية و الأدبية في العصر الطولوني. ويتناول القسم الخيالي من هذه الرواية قصة حب بين (دميانة)المسيحية وسعيد الفرغاني ومنافسه في هذا الحب (اسطفانوس) ابن المعلم يوحنا ، ويقتصر دور (أحمد بن طولون) الذي سمي الكاتب الرواية باسمه على أن هذه القصة الغرامية الخيالية قد حدثت في عهده[1].

17 - عبد الرحمن الناصر(1909م) : تدور أحداث هذه الرواية حول وقائع تاريخية وقعت في الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر . ويتضمن ذكر هذه الوقائع وصفًا لبلاد الأندلس ، والحضارة التي أنشأتها ، وعادات وتقاليد شعبها في ذلك الوقت . في الرواية يحاول زيدان أن يُظهر للقارئ مشهدًا بانوراميًا لتلك الحقبة ، يصف القصور الفخمة ، والطريقة التي يستقبل بها وفود ملوك أوربا بالهدايا وغيرها من المشاهد التفصيلية التي تجعل الماضي ينبض بالحياة في ذهن القارئ[2].

18- الانقلاب العثماني (1910 م): تتضمن وصفًا لأوضاع الأتراك في نهاية عهد السلطان عبد الحميد ويصف أحوال العثمانيين الأحرار وجمعياتهم السرية وما عانوا منه من أجل طلب الدستور ، الرواية يتخللها وصف لحياة السلطان العثماني في يلدز وقصورها وحدائقها وما لعبه فيها الجواسيس والمساعدون حتى وصلت بنا الأحداث إلى انتصار جمعية الاتحاد والترقي والحصول على الدستور . والرواية مبنية على قصة حب تربط أجزاءها ودارت بين رامز عضو الاتحاد والترقي ، وشيرين ابنة خالته ، لكن هذا الحب تعيقه عقبات بسبب تدخل الأب الذي يهدف إلى تزويج ابنته من صائب بك أحد

---

[1] ينظر ، أحمد بن طولون : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1908م .

[2] ينظر ، عبد الرحمن الناصر : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1909م.

جواسيس السلطان ، لكن القصة تنتهي بانتصار رامز وشيرين على قوى الشر ويقتل صائب وغيره من أنصار الحكومة[1].

19 - فتاة القيروان (1911م): في هذه الرواية عرض جرجي زيدان أحداث تاريخية من خلال قصة حب وتتضمن الرواية ظهور الدولة الفاطمية في إفريقيا ، وتعدد فضائل المعز لدين الله وقائدها جوهر الصقلي ، كما تتضمن سقوط الدولة الأخشيديَة بعد أن اتجه حكامها نحو الترف والملذات ، واستبدادهم في حكم الرعايا ، وانقسام جنودهم . وتقدم الرواية أيضًا وصفًا لبرابرة إفريقيا وعاداتهم و أخلاقهم في ذلك العصر ، وتروي قصة نهوض الفاطميين وتماسكهم ووصولهم إلى السلطة من خلال إقامة الدولة الفاطمية بعد سقوط الدولة الإخشيدية.[2]

20 - صلاح الدين الأيوبي (1912م): تستعرض هذه الرواية الحقبة التاريخية التي انتقلت فيها مصر من الحكم الفاطمي إلى الحكم الأيوبي ، بانتهاء حكم الخليفة العاضد وبداية حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي البطل التاريخي المعروف وصاحب معركة حطين .و تتضمن الرواية في وقائعها وصفًا للطائفة الإسماعيلية، وهي طائفة انفصلت عن الفاطميين في القرن الثامن الميلادي للدعوة لإمامة نزار بن المستنصر بالله ومن جاء من نسله ،وقد اشتهرت هذه الرواية بين القرنيين الثامن والرابع عشر ، وقائدها في هذه الرواية رجل اسمه راشد الدين سنان . تدور أحداث هذه الرواية حول شخصية أبي الحسن الرجل الذي أدعى النسب الفاطمي وأحب ست الملك أخت العاضد وكان طامعًا بالخلافة[3].

21 - شجرة الدر(1913م) : تدور أحداث الرواية حول قصة شجرة الدر بوصفها أول ملكة حكمت في تاريخ مصر الإسلامية ، حيث توجت ملكة لمصر بعد مقتل آخر

---

[3] ينظر ، الانقلاب العثماني : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1910م .

[1] ينظر ، فتاة القيروان : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1911م.

[2] ينظر ، صلاح الدين الأيوبي : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1912م .

سلاطين الدولة الأيوبية " طوران شاه ".و جاء وصولها إلى السلطة مع الأحداث المأساوية التي شهدها الوقع السياسي الإسلامي على المستوى الدولي في ذلك العصر ، حيث سقطت الخلافة العباسية مع غزو التتار لبغداد التي كانت مركزًا للخلافة طوال خمسمائة عام ،ثم انتقل مقر الخلافة إلى مصر ، وتزامنت فترة حكمها مع قدوم الملك لويس التاسع ملك فرنسا بنفسه على رأس الجيوش الصليبية للقضاء على مصر باعتبارها أقوى دولة إسلامية في ذلك الوقت . رغم كل هذه التحديات التي فرضها الواقع الدولي استطاعت شجرة الدر من إدارة شؤون البلاد بكفاءة وفاعلية[1] .

على الرغم من هذا المزيج من التاريخ و الرومانسية الملفقة . يمكننا القول أن هذه الروايات كانت أفضل بكثير من بعض الأعمال المترجمة أو المقتبسة أو المكتوبة التي نُشرت على شكل حلقات . وتحوي شيئًا من كل شيء (شأن بعض الأفلام الهندية الأخيرة) مثل القتل والمؤامرات والحب والقتال والأحداث السريعة . لم تقدم هذه الكتابات سوى مساهمة صغيرة في تطوير الرواية ، بل أن وصمتها فيما يبدو بنوع من الوصمة الاجتماعية[2].

ويتضح لنا خلال هذا العرض الموجز لروايات جرجي زيدان أنه كان يكتب الرواية التاريخية التي تقوم على توظيف حدث مهم أو مجموعة أحداث مهمة وقعت في التاريخ العربي و الإسلامي ليعالج هذه الأحداث عن طريق السرد الذي كان يضفي عليها بعدًا تخييلًا من أجل الإيحاء بمعنى من المعاني للقارئ الذي كان يراهن عليه جرجي زيدان في زمنه وفي العصور اللاحقة .

كما يتضح أن جرجي زيدان كان ينتقي شخصيات رواياته من الأسماء البارزة والمؤثرة في التاريخ العربي والإسلامي ليجعل من هذه الشخصيات محورا تقوم عليه

---

[1] ينظر ، شجرة الدر : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1913 م .

[2] الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية : روجرآلن ، ترجمة : حصة إبراهيم المنيف ، المجلس الأعلى للثقافة : 51.

الروايـة التـي تخضـع فيهـا الشخصـيات الأخـرى المتفاوتـة والمختلفـة مـن حيـث الأهميـة والدور إلى محورية الشخصية الرئيسة .

وفي نهاية هذا التمهيد نرى أنه من اللازم أن نحدد مفهومنا للتخييل الوارد مصطلحًا في بداية عنوان هذه الدراسة ، ولو عدنا إلى المعاجم العربية سنجد أنها تتفق على أن لفظة تخييل هي اشتقاق صرفي من الفعل " خَيّلَ " بمعنى " خالَ الشيءَ يَخالُ خَيلًا و خيلة و خَيلة و خالًا و خِيَلا وخَيَلانًا و مَخالة و مَخيِلة و خَيلُولة : ظَنّه "[1] . وقد ورد معناه في معجم اللغة العربية المعاصر : " 1 - مصدر خيّلَ و خُيّل إلى \ خُيِّلَ لـ. 2 - مبالغة في التشبيه إلى حد الإيغال ." ، وتخيلت عليه تخيلا : غذا تفرست فيه[2].

أمـا فـي الاصـطلاح فقـد اختلفـت مـدلولات مصـطلح التخييـل بحسـب البـاحثين والدارسين فمنهم من يذهب إلى أن " التوهم أو الفانطاسيا قوة نفسانية و مدركة للصور الحسية مع غيبة طينتها ، ويقال الفانطاسيا هي التخيل ، وهو حضور الأشياء المحسوسة مع غيبة طينتها "[3] يستحضر هذا القول مفهومين : التوهم و التخيل ، ويجعل منهما المقابل للفظ اليوناني " phantasia" ، وهو لفظ يشير إلى قوة ذهنية أو نفسية داخلية تمكن الفرد من إعادة استحضار الصور بعد غياب مرجعيتها المادية الواقعية. ومن الدارسين من ذهب إلى أن التخييل " هو الذي لا يمكن أن يقال أنه صدق ، و إن ما أثبته ثابت ، وما نفاه منفي ، وهو مفتن المذاهب ، كثير المسالك ، لا يكاد يحصر إلا تقريبا ، ولا يحاط به تقسيما وتبويبا ، ثم إنه يجيء طبقات ، ويأتي على درجات ، فمنه ما يجيء

---

(1) لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، ط3 ، دار مصادر بيروت ، لبنان ، 1994 م : مادة " خيل ".

(2) معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1991م : مادة " خيل ".

(3) من السردية إلى التخييلية بحث في بعض الأنساق الدلالية في السرد العربي : د. سعيد جبار ، دار الأمان ، الرباط ، ط1 ، 2012 م : 41 .

مصنوعا قد تلطف فيه واستعين عليه بالرفق والحذق ، حتى أعطى شبها من الحق ، وغشي رونقا من الصدق ، باحتجاج يخيل ، وقياس يصنع فيه ويعمل "[1]

وقد وضع التخييل مقابلا للحقيقة ، ونفى عنه جانب الصدق ، ويرى من يرى أن التخييل لا يأتي على صورة واحدة ، بل هو على طبقات أو درجات .

أما القرطاجني فقد عرفه بقوله : " و هو أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل بها وتصورها ، أو تصور شيئا آخر لها انفعالا من غير رؤية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض "[2] فالتخييل – إذن – هنا هو التخييل الشعري الذي اشترط فيه مجموعة من الأمور التي يجب أن تراعى عند عقد محاكاة بين طرفين ، إذ كلما اقترنت الغرابة والتعجب بالتخييل كان أبدع[3] .

غير أن مصطلح " التخييل " على الرغم من وجوده ومعرفته في المدونة النقدية العربية القديمة ، وفي المدونة النقدية المنقولة عن اليونان ؛ فهو يكاد يكون مقتصرًا على السرد القصصي كما أثبت ذلك الدراسات السردية الحديثة والدراسات النظرية المتعلقة بها.

وإذا كان التخييل هو الوجه المقابل للواقع والمضاد له في عموم الأجناس الأدبية ؛ فإنه في الرواية وفي السرد القصصي خصوصًا مفارق للواقع وإن حاكاه [4] ، لأن

---

[1] أسرار البلاغة في علم البيان : الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى (471 هـ) ، تحقيق ، د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001 م : 192 – 193.

[2] منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن القرطاجني ، تحقيق ، محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية، القاهرة ، 1981 م : 89 .

[2] ينظر ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن القرطاجني : 101 .

[4] ينظر ، معجم السرديات ، محمد القاضي وآخرون ، دار محمد علي ، تونس ، ط1 ، 2010م : 74 .

الرواية جنس يقوم " على التخييل وعلى الاهتمام بتصوير الذات والمجتمع وتتميز بطاقة كبيرة على استلهام الخطابات الأخرى وتشربها ، ومنها المادة التاريخية التي يمكن أن تترك بصمتها وآثارها في الحاضر والمستقبل وتسهم في تشكيل السلوك الانساني عامة ، والفعل الإبداعي ومنه الأدب خاصة "[1].

أما إذا كان هذا المصطلح " التخييل " مقرونا بنعت " التاريخي " فيرتبط – كما يحدده د. عبد الله إبراهيم – بنوع محدد من السرد القصصي أو الروائي الجامع بين التاريخ والخيال ، حيث تنصهر خصائص كل منهما لتعطينا شكلًا روائيًا جديدًا بمكونات سردية تجمع بين عموميات الوقائع التاريخية التي سجلها التاريخ وبين الخيال الروائي المشغول بنقل التفاصيل المسرودة في ظل حبكة تتكفل باستجابة المواد التاريخية لشروط الأدب والفن ، وتضمن في الوقت نفسه انفصالها عن سياقاتها الحقيقية واتصالها بسياقات مجازية قابلة للقراءة والتأويل [2]، وعليه فإن التخييل السردي للتاريخ لا يعيد ما قدمه التاريخ مكرورًا وإنما يعيد تشكيل صيغ التاريخ ووقائعه من خلال إدخالها بقوالب فنية تمنحها التجدد في الرؤية وفي الطرح للقارئ الذي سيعيد بدوره فهمها وتأويلها .

---

(1) في نظرية الأدب ، شكري عزيز الماضي ، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2005 م : 145

(2) التخييل التاريخي ، السرد ، و الامبراطورية ، والتجربة الاستعمارية : د. عبد الله إبراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2010 م : 6

الفصل الأول: في العلاقة بين الرواية والتاريخ

المبحث الأول : الرواية بين الأوربيين والعرب.

المبحث الثاني : الرواية بوصفها مصدراً تاريخياً.

المبحث الثالث : التاريخ بوصفه مرجعاً أدبياً.

المبحث الأول : الرواية التاريخية بين الأوربيين والعرب

المطلب الأول: في الرواية التاريخية الأوربية :

لقد نشأت الرواية التاريخية في أوربا مطلع القرن التاسع عشر ، وذلك زمن انهيار نابليون تقريبًا ، فقد أدت الثورة الفرنسية ، وانتشار الفكر الثوري ، وظهور الاتجاه القومي والاعتزاز به في مختلف أنحاء أوربا إلى زيادة الاهتمام بالتاريخ والاستفادة منه . ومن وجهة التاريخية نجد الرواية التي تأخذ من بعض حوادث التاريخ أو شخصياته أساسًا لبنائها قد نشأت في رحاب الرومانسية لأسباب تاريخية وسياسية ، منها الاعتزاز القومي ، وأسباب فلسفية اعتنقها أكثر الرومانسيين ، كالرغبة في الهروب ورفض الواقع المعيش ، يأسا منه أو ثورة عليه[1] .

وقد قدم الرومانسيون خدمة جليلة للرواية التاريخية ، فقد طالبوا بإبراز الصبغة التاريخية ، و بالإحساس بالعصر واستيعابه ، وهذا ما نجده في روايات والتر سكوت[2] .

وقد ازدهرت الروايات التاريخية في أوربا من عام 1825م إلى عام 1850م، حيث نجد كل من ألفرد دو فينييي في عمله الموسوم (الخامس من مارس) ، ومانزوني في عمله الموسوم (المخطوبة) عام 1827م ، وبعده بلزاك في (الثائرون) عام 1829م ، وبروسبير ميريميه في (تاريخ زمن شارل التاسع) عام 1829م ، وفكتور هوجو في (نوتردام دي باري) عام 1831م ، وليتون في (إيام بومبي الأخيرة) عام 1832م ، والكسندر دوماس في(الفرسان الثلاثة) عام 1832م والذي يعد من أكثر المتأثرين بوالتر سكوت فقد اتبعه وسار على نهجه . وقد استمر ظهور الرواية التاريخية وانتشارها الذي ازدهر على يدي كل من : وليم ثاكاري في (هنري أزموند) عام 1852م ، وكذلك ظهرت

---

(1) الرواية التاريخية والعصور الأدبية : Azra Parveen ، Al Hidāyah ، (Vol. 4 No. 1, 2022، ISSN (online): 2788-7537 /ISSN (print): 2707-7454 : 77 .

(2) المدخل إلى الآداب الأوربية : فؤاد المرغي ، سوريا ، منشورات جامعة حلب ، ط2 ، 1981م : 192.

في الأدب الروسي عند ليو تولستوي في الحرب والسلام عام 1859م وهي واحدة من أعظم الروايات التاريخية العالمية ، تدور أحداثها في بداية القرن التاسع عشر ، مع اجتياح القائد الفرنسي نابليون بونابرت للأراضي الروسية ، ودخول موسكو وانسحابه بعد الخيبة والفشل في مواجهة الشتاء الروسي القارص ، ورفض القيصر الروسي الكسندر الأول الاستسلام وهي تبدأ في النمو من فكرة مسيرة الأجيال التي تتغير وتتجدد دوما ، وفلوبير في (سالامبو) عام 1892م، وجورج إليوت في (رومولا) عام 1893م ، وإبيرس في (الأميرة المصرية) عام 1952م[1] .

وقد مرت الرواية التاريخية في أوربا حتى أواخر القرن التاسع عشر بأطوار ثلاثة ، تبدأ بطور الإيحاء التاريخي الذي يفسر التاريخ من الخارج من خلال الحملات والمخاطرات والمبارزات والأسلحة والملابس للإشارة إلى فترات تاريخية محددة ، وخير من مثّل هذا الاتجاه والتر سكوت والكسندر توماس ، ثم اتجهت الرواية التاريخية إلى طور التحليل والتفسير العقلي المبني على وقائع التاريخ ومثّل هذا الاتجاه ليتون و إيبرس ، ثم ظهر طور التفسير الإنساني العاطفي القائم تفسير التاريخ من الداخل ، من خلال التركيز على العواطف الإنسانية الخالدة واستمرارها عبر العصور ، ومثّل هذا الاتجاه ثاكاري في روايته " هنري أزموند " عام "1852 م" رواية تاريخية تعد من روائع الأدب العالمي[2].

وقد تطورت الرواية التاريخية في أوربا مطلع القرن العشرين ، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى وما سببته من ويل ودمار للبشرية ، فظهر اتجاه جديد يعبر عن أزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة ، ومشكلة الفرد وعلاقته بالمجتمع ، وما إلى ذلك من آراء و أفكار عقلية مثالية .

وربما كان أهم سبب في بلورة شكل الرواية في أوربا ، شرقًا وغربًا ، وتخلفه زمنًا طويلًا في الوطن العربي ، أنه مرتبط جوهريًا بنضج الفكر النقدي واستقراره ،فمن أهم

---

[1] صنعة الرواية : عبد الستار جواد ، العراق ، دار الرشيد ، 1981م : 37.

[2] ينظر ،فن القصة : محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ط5 ، 1966م : 191- 192.

سمات الرواية النقد والسخرية ، وهما من شروط الإنتاج الأساسية ، لتعدد الأصوات واللغات ، وفقًا لتعبير " باختين " الذي يرى أن نضج الرواية قد صاحب تطوير " الزمكانية " ، كما أن الرواية تمثل المحاكاة الساخرة للواقع و للأجناس الرسمية للأدب في آن واحد ، وأنها – بذلك- لا تنفصل عن النقد والصوت الآخر والصيغة الحوارية . الرواية هي كما قال " لوكاتش " " سن النضج " عندما " تسكت الآلهة " ، ويواجه الإنسان وحدته وإشكاليته ، ليحمل مسؤولية نفسه واختياراته ، وقلقه ، في الاتصال بين ماضيه ومستقبله ، بين ضياعه وخلقه المتجددين[1] .

أما في الأدب الفرنسي فلم تظهر الرواية ولم تزدهر إلا في القرن الثامن عشر ميلادي ، وكان يطلق على هذا القرن في فرنسا : عصر العقل أو عصر التنوير . ففي خلال هذا القرن صب الفلاسفة كبير اهتمامهم على العقل على أنه أحسن الطرق لمعرفة الحقيقة ، وكان معظم الأدب الفلسفي يخرجه مفكرون كبار من أمثال : " فولتير " و " دينيس ديدر " و جون جاك روسو [2].

وكان فولتير أشهر رجال الأدب في عصره ، وكان يستخدم مهارته الأدبية لمحاربة الاستبداد والتعصب الاعمى والترويج للعقلانية ، وكانت أكثر اعماله شهرة وهي روايته الساخرة بعنوان " كانديد " 1759م من أنضج الكتابات الروائية في هذا العصر ، فضلاً عن مساعداته المبهرة في تطوير مبادئ الكتابة التاريخية الحديثة من خلال أعماله الكثيرة التي تناول فيها تاريخ أوربا والعالم .[3] ويعرف " دينيس ديدرو " إلى حد كبير لكونه محررا للموسوعة (1751 – 1772) – موسوعة الفنون والعلوم والحرف - وهي من أهم

---

[1] ينظر ،حول بعض قضايا نشأة الرواية : أمينة رشيد، مصر ، فصول ، العدد 4 ، 1 أكتوبر 1986م : 111.

[2] ينظر ،أثر الرواية الغربية على الرواية الجزائرية " حارسة الظلال لواسيني الأعرج أنموذجا" : إدريس دريسي ، محمد الطاهر إيدر ، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في جامعة أحمد دراية ، كلية الآداب واللغات ، اللغة و الأدب العربي ، 2017م – 2018 م: 14.

[3] المصدر نفسه : 15.

الإنجازات العلمية لعصر العقل ، وكان هذا العمل يهدف إلى أن توضح بطريقة عقلية آخر الاكتشافات العلمية والروائية . واقترح " جون جاك روسو " تغييرات في المجتمع الفرنسي في روايته " الواز " الجديدة 1761 وفي التعليم في روايته " اميل " 1762 ، وساعدت سيرة حياة روسو بعنوان : " اعترافات " التي نشرت عامي (1782 – 1789) بعد مماته على بيان دور الأدب الحديث في مجال النقد الذاتي ، وكانت حساسية روسو نحو الطبيعة قد أعادت أدخال مشاعر من التفكير العميق والشعر في الأدب الفرنسي ، وتظهر هذه الحساسية بشكل أكبر وبوضوح في روايته " أحلام اليقظة للمتجول الوحيد " 1782[1].

وبما أن فن الرواية هو فن مرتبط بطبيعة الحياة الأوربية الحديثة وإن وجوده في البيئة العربية يعود إلى تأثر هذه البيئة بالثقافة الأوربية عن طريق البعثات الدراسية والترجمات الكثيرة وتحوّل نمط المعيشة عند العرب الذي أصبح قابلًا لاستضافة الفن الروائي ، فلذا كانت الرواية التاريخية الأوربية التي أخذت قالبا فنيا متطورًا وواضح الملامح من الأنماط الفنية التي أثرت تأثيرًا بيّنا على الرواية العربية الحديثة من خلال محاولة جرّها إلى بحث العلاقة الوطيدة بين الرواية بوصفها فنا تعبيريا خاصًا والتاريخ بوصفه مادة صالحة للتوظيف الفني ولإعادة التأويل كما سيتضح لنا .

المطلب الثاني: في الرواية التاريخية عند العرب:

يرى بعض العلماء أن التاريخ المقدم بشكل روائي لم ينتظر القرنين التاسع عشر والعشرين لإثبات وجوده في الأدب العربي . فلدينا في القديم روايات " عنترة " ، و" سيف بن ذي يزن " ، و " بني هلال " ، و " الجازية " ، و " البطال " ، و " ذات الهمة " وغيرها[2]. و كان ظهور هذا الفن في الأدب العربي في أواخر القرن التاسع عشر. و أول محاولة كبيرة في كتابة هذا اللون من القصة كانت لسليم البستاني. وكانت قصته الأولى هي

---

(1) ينظر ، أثر الرواية الغربية على الرواية الجزائرية : إدريس دريسي : 15.

(2) الرواية والتاريخ دراسات في تخييل المرجعي : د. محمد القاضي ، دار المعرفة للنشر – تونس ، ط1 ، 2008م : 28.

" زنوبيا " التي أصدرها سنة 1871م . ثم تلتها الروايات التاريخية ، وكتب سليم البستاني " بدور " (1872 م) و " الهيام في فتوح الشام " (1874 م) ، إلا أن هذه الأعمال الروائية لهذا الروائي الصحفي التي استُخلصت مادتها من التاريخ العربي الإسلامي افتقرت إلى العناصر الفنية وتغلب عليها الطابع الصحفي الاستكشافي أكثر من السرد في الأحداث ، وفي ذلك يقول يوسف نوفل : " من الحق أن نقرر أن السمات الفنية لم تكتمل لدى البستاني ، أذ تفتقد للروابط والتحليل والاستبطان ، وتلتقي بالسطحية والتفكك (...) وعدم رسم الشخصيات "[1]،وكتب جرجي زيدان سلسلة روايات تاريخ الإسلام (م1891 – 1914م) يعتبر النقاد والباحثون أن زيدان هو الأب الحقيقي ورائد الرواية التاريخية العربية الذي مهد الطريق للآخرين ، ومن خلال هذه الاعمال الروائية حاول زيدان أن يجعل الفن خادمًا للتاريخ ، وهدفه في ذلك تعليم التاريخ للناشئة ، على غرار قرينه سليم البستاني ، ويقول جرجي زيدان في ذلك : " إننا نتوخى جهدنا في أن يكون التاريخ حاكمًا على الرواية لا هي عليه كما فعل بعض كتبة الإفرنج ، وفيهم من جعل غرضه الأول تأليف الرواية ، وإنما جاء بالحقائق التاريخية لإلباس الرواية ثوب الحقيقة ... و أما نحن فالعمدة في رواياتنا على التاريخ ، و إنما نأتي بحوادث الرواية تشويقًا للمطالعين ، فتبقى الحوادث التاريخية على حالها ، وندمج فيها قصة غرامية ، تشوق المطالع إلى استتمام قراءتها ، فيصبح الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ " [2]، وإذا كانت رغبة جرجي زيدان في تعليم التاريخ قد أثرت في اختياره لموضوع رواياته فإنها أثرت أيضًا في تطور الحدث فيها وفي رسم شخصياتها . فالجانب الروائي في روايات جرجي زيدان يقوم على علاقة غرامية بين بطل خير بصورة مطلقة

---

[1] الرواية التاريخية : بين التأسيس والصيرورة : سليمة بالنور – الجزائر، عود الندى مجلة ثقافية فصلية ، 1756 – 4212، الناشر ، د. عدلي الهواري ، السنة 8: 84-95، العدد ، 93: 03\2014.

[2] الحجاج بن يوسف : جورجي زيدان ، المقدمة ، دار الهلال ، القاهرة ، 1989: 6.

يحب بطلة خيرة ، وتقوم العقبات والدسائس والمؤامرات بينهما وبين حبهما ، وحين ينتهي جرجي زيدان من أحداثه التاريخية يكون قد انتهى أيضًا من هذه العلاقة الغرامية [1].

وبعد ذلك ظهرت روايات نجيب محفوظ التاريخية التي جسدت لمحات من التاريخ الفرعوني في ثلاثة من أعماله وهي " عبث الأقدار " (1939م) و" رادوبيس " (1943م) و " كفاح طيبة " (1944م) ، وشكلت هذه الروايات الثلاث تقدمًا واضحًا في تتطور الرواية التاريخية ، فبعد أن كانت الرواية التاريخية عند كتاب الجيل الأول إعادة كتابة للتاريخ بصورة شائقة تهدف إلى تثبيت أحداثه من خلال تمحورها حول قصة مبتدعة تبث التشويق في أرجاء الرواية – نمثل لهم بجرجي زيدان الذي كان يتحسس في أعماله شقوق التاريخ في حقبة ما ، ملأها بقصة حب أصبحت بؤرة الأحداث حتى تتجمع حولها ولا تتعدى ما يطفو على الأسطح – أما بالنسبة للجيل الثاني ، فقد أصبحت الرواية أقل اعتمادًا على التاريخ ، لذلك لم يعد الاهتمام بكتابة الرواية التاريخية مقصورًا على إنشاء نص تاريخي يحمل أسم العصر التاريخي وأدائه وصورته فقط ، بل تجاوز هذا الأمر إلى توظيف المادة التاريخية توظيفًا فنيًا بالدرجة الأولى ، وخير من يمثل هذا الجيل الروائي المصري نجيب محفوظ الذي يعد أبرز كتاب الرواية التاريخية العربية في طورها الثاني[2]. في ظل هذه التحولات التي حدثت للرواية التاريخية العربية، ستظهر لنا نماذج ناجحة منها ما كتبه " عبد الخالق الركابي " من روايات عديدة كانت خلفيتها أحداث العراق ، وفي المغرب العربي بشكل عام وفي الجزائر بشكل خاص ، حيث نجد واسيني الأعرج الذي يؤرخ لفترة الأزمنة الجزائرية ، والعشرية السوداء بروايات منها : شُرفات بحر الشمال ، ومملكة الفراشة ، أضف إلى ذلك الرواية التاريخية المكتوبة باللسان الفرنسي في الجزائر ، والتي أثبتت حضورها في أوائل القرن العشرين بروايات : محمد ديب : (الدار الكبيرة والحريق) ، وكذلك مولود فرعون بروايته (الفقير) وهي سيرة ذاتية لصاحبها ،

---

[1] تطور الرواية العربية الحديثة في مصر 1870 – 1930 : د. عبد المحسن طه بدر : 102.

[2] ينظر، الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية : د. نضال الشمالي ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن، 2006: 121.

وكذا كاتب ياسين بروايته (نجمة)[1]، ومن سوريا : يعد معروف الأرناؤوط رائد الرواية التاريخية بكتاباته عن التاريخ الإسلامي ، وقدم عبد الرحمن منيف تاريخا اجتماعيا في رواياته عن منطقة الشرق الأوسط وصور الروائي التونسي البشير خريف التاريخ التونسي الغابر في روايته البلارة وبرق الليل.[2]

ويفسر بعض الدارسين بروز الرواية التاريخية عربيًا بما يلي[3]:

- انبعاث الروح القومية وتأكد الهوية في سياق الاحتكاك مع الغرب الذي سعى إلى الهيمنة على البلاد العربية ، و أسرف بذلك في الطغيان.

– تنامي الوعي والشعور بالمظالم العثمانية .

أما من الناحية الفنية فيمكن إرجاع دوافع بروزها إلى [4]:

- الاحتكاك بالغرب من خلال البعثات العلمية .

- ظهور الصحافة .

- نشاط حركة الترجمة .

- انتشار المكتبات .

ومرت الرواية التاريخية في أدبنا العربي بثلاث مراحل واضحة المعالم هي[1]:

---

[1] جدلية التاريخي والتخييلي في رواية " الديوان الإسبرطي " لعبد الوهاب عيساوي : سمية أزهار سليماني ، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر ، جامعة 8 ماي 1945قالمة ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة والأدب العربي : 11- 12.

[2] الرواية التاريخية بين التأسيس والصيرورة : بالنور سليمة : 5.

[3] الرواية التاريخية العربية بين التوثيق والخيال : رجاء مستور ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله ، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية ، قسم اللغة العربية و آدابها ، 2015- 2016: 37.

[4] المصدر نفسه : 38.

المرحلة الأولى :

مرحلة إعادة تسجيل التاريخ سرديًا مع محاولة للتقيد ولو من بعيد بمجرياته لغايات تعليمية إخبارية ، كما ظهر ذلك في أعمال جرجي زيدان . فجرجي زيدان يُتهم بأنه لم يكن أمينًا على أحداث التاريخ بل كان تركيزه على قصص خيالية مبتدعة بهدف التسلية في المقام الأول لا لهدف إعادة تسجيل التاريخ مع تقيد تام ، لغايات تعليمية إخبارية ، ولكن يمكن القول أن الحكائي تقدم عند ذلك على السردي الفني وأنه لم يعتن بتوظيف التاريخ لمخاطبة أسئلة الواقع و نحو ذلك .

المرحلة الثانية :

مرحلة الموازنة بين ما هو تاريخي و ما هو فني ، فالتاريخ يُسكب في قالب روائي واضح المعالم . ويحقق أهدافه ويستعرض وجهة نظره ، كما ظهر في روايات نجيب محفوظ الأولى .

المرحلة الثالثة :

مرحلة استثمار التاريخ استثمارًا إسقاطيًا واعيًا من خلال ارتهانه إلى ما هو فني بالدرجة الأولى ، وفيه يتهيأ التاريخ قناعًا . والروايات التي سارت على هذا النهج تسعى جاهدة إلى تفسير الواقع المعيش من خلال الماضي المنقضي الذي يمكن أن يعيد نفسه ، لكنها تهرب إلى فترات مشابهة للحظتها الحاضرة فتقوم بما يسمى بـ " الإسقاط التاريخي " كما لمسنا ذلك لدى جمال الغيطاني في " الزيني بركات " ورضوى عاشور في " ثلاثية غرناطة " وعبد الرحمن منيف في " أرض السواد ".

---

(1) الرواية التاريخية بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية : د. نضال الشمالي : 122- 123.

إن هذا الإصرار على العودة إلى الماضي أو الاندفاع نحوه له ما يبرره دائمًا ، لكن يجب أن تتم هذه الاندفاعة ضمن موازنة دقيقة تكفل للخطابين الروائي والتاريخي أن يتناسقا دون أن يتعارضا .

وهكذا تظهر القراءة التاريخية أن الرواية الحديثة نضجت حقًا في ظروف اجتماعية سمحت ببلورتها ، فكان لاتساع جمهور القراء ، ولازدهار الطبقات الوسطى بخاصة في أوربا وفي العالم العربي كذلك ، دور في تغيير ذوق القارئ وموضوعات الكتابة الأدبية ، وطبيعة الشخصيات ، ومواقع الفعل ، في حين ظلت الأهمية ، والهيمنة الطبقية ، وضعف النقد والديمقراطية ، معوقات للانتشار الأدبي ولازدهار الرواية في الوطن العربي ، منذ بداية حداثته حتى الآن ، مع إبقائها في تبعية نسبية . أما في أوربا فقد كان للتطور العلمي ونمو الفكر الفلسفي المتعلق بمفهوم الزمان ، أثر انعكس في جماليات الإبداع وفي الإنتاج الأدبي ، على نحو ما نستطيع أن نقرأه في النصوص النظرية التي عرفها المبدعون والنقاد في القرن الثامن عشر وهي نصوص أسهمت في تطور الوعي الثقافي العربي وفي توجيه بوصلته صوب معطيات الحداثة التي ازدهرت في الحواضر الأوربية منذ ما يزيد على القرنين من تنبّه جيل المثقفين العرب إلى أهمية استجلابها لتحريك المجتمع العربي من وهرته وسباته الذي أمضاه في فراش العثمانيين البائس ، لقد عرف الفيلسوف الإنجليزي " لوك " هوية الإنسان بأنها هوية الوعي عبر مدى زمني؛ فتكون الشخصية الفردية هو الوعي بالهوية من خلال اتصال الذاكرة بالماضي . وأهمية الذاكرة تكمن وراء المفهوم الخاص بالسيبية ، على نحو ما أوضح الفيلسوف " هيوم "[1].

ومما تقدم يتّضح لنا إن الرواية التاريخية عند العرب تالية لظهورها عند الأوربيين، ومتأثرة بهذا الظهور من نواح عدةٍ وإن ما طرحته الرواية التاريخية عند العرب هو استجابة بديهية لما عايشته المجتمعات العربية من تحولات اجتماعية وثقافية وسياسية نهضوية ليس من شأن الدراسة وضع اليد عليها قدر اهتمامها بموضوعها الرئيس والمتمثل

[1] ينظر ،حول بعض قضايا نشأة الرواية : أمينة رشيد : .110.

ببيـان الكيفيـة التـي جـرت مـن خلالهـا عمليـة تخييـل التـاريخ الإسـلامي فـي إحـدى روايـات جرجي زيدان التي تركت أثرا قديما في نفسي عند قراءتها .

المبحث الثاني : الرواية بوصفها مصدرًا تاريخياً

علاقة الرواية بالتاريخ هي علاقة مرتبطة بالواقع والإخبار والقص، وهي علاقة قوية وضعيفة في الوقت نفسه ، وتتميز بالتقارب والبعد والتناقض والتقاطع و بمقدار ما تحتوي الرواية على تفاصيل الأحداث والحقائق والشخصيات ، فإنها تحاول بطريقة أو أخرى مناقضتها والتمرد عليها وكشف المسكوت عنه . فالرواية نفسها تمثل نتاج السياق التاريخي للتحولات في المجتمع والكون ، و تمثل نوعًا من الصراع الخفي لحيازة سلطة المتخيل وفضاء الكلام ، وامتلاك مفاتيح الذاكرة.[1] و قد نشأ جدل كبير حول علاقة الرواية بالتاريخ ، أو تعامل الرواية مع أحداث معينة في التاريخ ! وهل يتحول الروائي إلى شاهد عيان يستحضر الماضي بشكله الجامد و بديهياته الجاهزة ؟

إن للتاريخ قوانين و أعرافًا أدبية لا ينبغي العبث بها ، لكن عندما نتحدث عن الرواية التاريخية ، فإننا لا نشير بالضرورة إلى تلك القوانين والأعراف ! بل إننا نمارس نوعًا من الحرية الأدبية التي تسمح للكاتب بنشر شخصيته داخل النص ، حتى لو كان في فضاءات الماضي ضمن الأطر المعروفة ، حتى لو ترك التاريخ الحقيقي للنص المكتوب[2].

ويرى أصحاب النزعة التاريخية أن التاريخ والرواية مترابطان ترابطًا عضويًا. وتلك هي الصورة التي كانت الرواية عليها لدى بلزاك مثلًا ومن أشهر أعماله " الأب غوريو ، 1835 " ؛ لكن الرواية الجديدة – ومعها النقد الجديد – ترفض هذه الأطروحة ، وتأبى أن تربط نفسها بالتاريخ. لكن هل الرواية قادرة حقا ، على الخروج من جلد التاريخ ، والتمرد على الزمن ، في الوقت الذي لا تزيد في سلوكها على كتابة التاريخ ، ولكن بشكل آخر؛ ربما أجمل وأصدق ؟ خذ لذلك مثلا الشخصيات ، والأحداث ، والأخبار ، والأزمان ، كلها

---

[1] الرواية والتاريخ و إشكالية التداخل : بوجمعة بو حفص ، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب ، مجلد 10، عدد 2 ، 2021: 506.

[2] علاقة الرواية الأدبية بالتاريخ : د. الحاج صادوق ، جسور المعرفة ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الانسانية ، قسم التاريخ ، المجلد 5، العدد 1 ، 2019 : 204.

تحيل على التاريخ ؛ وكلها تستقي من أحداث المجتمع وعلاقات الناس في المجتمع بعضهم ببعض ، في الوقت ذاته . فكيف ، إذن ، يمكن رفض التاريخ تحت عقدة الجدة والحداثة ، وما له صلة بهما ؟ .[1]

وأدى تحول التاريخ إلى علم له اسانيده التي تضبطه ، وتبين أصوله ، إلى جعله مكونًا من مكونات المعرفة ، كما أن انحسار أساس المادة التاريخية بالوثيقة ، وبما يطرحه المؤرخ من أسئلة في التحقيق التاريخي أسهم في خلق فهم جديد للتاريخ ، ومن ثم في جعله رافدًا من روافد الرؤية الإبداعية للرواية الحديثة ، وقد أسهمت عقلنة الأحداث التاريخية التي تسعى إلى تفسير الحدث ، وإنتاج معرفة خاصة به في فهم التاريخ فهمًا جديدًا ، وجعل الرواية تاريخًا .

وبذلك فإنه بدلًا من أن يشكل تاريخنا العربي مجموعة من الأحداث ، هي في نهاية المطاف ، أفعال أولي الأمر من أصحاب السلطة ، وبدلًا من أن تستند هذه الأحداث إلى حركة السرد الإخباري الذي طرقه في التثبت من صحته ، صار التاريخ واقعًا ماديًا له قوانينه الموضوعية التي تؤسس لفهم جديد له بوصفه علمًا قائمًا بحد ذاته ، وهذا الالتقاء بين الرواية والتاريخ جعل الرواية تاريخًا عبرت عنه .[2]

وقد ذهب كثيرٌ من الدارسين إلى أن الرواية هي كتابة التاريخ غير الرسمي أو التاريخ المنسي ، فهي التي تتغلغل في تفاصيل ينساها ذلك التاريخ الذي ينشغل بتدوين الأحداث الكبيرة و الأسماء العظيمة ، وينسى تداعيات تلك الأحداث على الأرض والبشر الضحايا ، الذين يعيشون في الظل بعيدا عن شموس قيادة الحدث ، كما أنه يدون حياة تلك الشخصيات المرمية على هامش الحياة والتاريخ و أعمالها ، وما كان لنا أن نعرفهم لولا الرواية . وهذا

---

[1] في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد : د. عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، ديسمبر 1998: 15.

[2] الرواية العربية بين الواقع والتخييل : رفيق صيداوي ، دار الفارابي ، لبنان ، ط1 ، 2008م : 93-95.

ما أكده " كارلوس فونتيس " حين قال: " أعتقد أن الرواية تمثل الآن تعويضًا للتاريخ ، إنها تقول ما يمتنع التاريخ عن قوله ... نحن كتاب أميركا اللاتينية نعيد كتابة التاريخ مزورا وصامتا : أننا أتينا من أسبانيا ، هذه التي انقطعت عن الثقافة العربية وعن اليهودية ، اتينا من الثقافات المهزومة التي تعرضت إلى المجازر والإبادة في أثناء الغزو الاسباني ، أتينا من ثقافة الهنود الحمر ، ومن ثقافة العبيد ... هذا كله يصنع فراغًا ، أو ثغرات تاريخية ، وصمتًا تاريخيًا يحاول الشاعر أو الروائي الامريكي اللاتيني المعاصر ملأه ، نعم أنني قادر على أن املأ بصوتي فراغ أربعة قرون أو ما يزيد ، وهذا ما يقوم به الشعراء الكبار... ولكننا نحاوله في الرواية أيضًا ، كما نحاوله بأدوات أخرى " .[1]

ولا ننسى أن المؤرخين كانوا يتعاملون مع التاريخ على أنه نوع من الأدب ، ويؤكد قاسم عبده قاسم ذلك عندما يقول : " التاريخ والرواية تفاضل أم تكامل " أن العلاقة بين التاريخ والرواية هي علاقة تكامل واعتماد متبادل ، فالرواية هي وثيقة للمؤرخ الذي يريد أن يفهم مجتمعا في حقبة معينة ، والرواية التي لم تكتب بقصد أن تكون تاريخًا تظل من أهم المصادر التاريخية لمعرفة النظام القيمي والأخلاقي ، والعادات والتقاليد والمشاعر و الأحاسيس ورؤية الناس لدورهم وعلاقتهم بالآخرين داخل مجتمعهم وخارجه . فضلًا عن أنواع الملابس والطعام ورأيهم فيما يدور حولهم من أحداث وفي من يحكمونهم ، وهي كلها أمور لا يجدها الباحثون في المصادر التاريخية التقليدية التي كتبت بقصد أن تكون تاريخًا ولا يمكن لباحث أن يزعم أنه فهم مجتمعا في فترة تاريخية ما ، دون أن يكون عارفا بآدابه وفنونه ومن بينها الرواية بطبيعة الحال ، ولهذا اعتبر الروائي الفرنسي بلزاك نفسه مؤرخ العصر ، و إميل زولا هو مؤرخ للحياة الاجتماعية في القرن التاسع عشر، ونجيب محفوظ

---

[1] تقول الرواية ما يحجبه التاريخ : كارلوس فونتيس ، مجلة الكرمل فصلية ثقافية ، العدد 18 ، 1985: 113.

يؤرخ للقاهرة في الأربعينات ، وكذلك عبد الرحمن منيف في مدن الملح ، ثم في أرض السواد يؤرخ للجزيرة العربية والعراق .[1]

وتأسيسا على ما سبق تُعد الرواية التاريخية سردًا لأحداث تاريخية مثبتة بقصد إعادة استيعابها وتجديد عرضها ، والرواية التاريخية تعتمد فترة زمنية محددة تسلط الضوء عليها ، فمن منطلق تاريخي ليس لمادة الرواية التاريخية بداية لا نهاية لأن التاريخ هو زمنها . وكتابة الرواية التاريخية هي تعبير عن مواقف و رؤى للعالم بشكل مختلف لا يمت بصلة إلى الكتابة بطريقة يفهمها القارئ مباشرة . والعودة إلى الماضي لا تنتج دائمًا رواية تاريخية لأنها عودة مشروطة بمحددات ترسم ملامح هذا اللون السردي من الروايات . الأمر الذي دعا لوكاتش لكي يصف الرواية التاريخية بأنها تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات.[2]

فإذا كانت الرواية أدبًا اجتماعيًا في المنظور اللوكاتشي ، والتاريخ جزء من نشاط المجتمع البشري في فترة زمنية محددة . بل هو كنز دفين من الأسرار الخاصة والعامة المرتبطة به وتمثيله بطريقة أو بأخرى ، فإن الرواية هي تعبير تمثيلي تخييلي عن الفضاء العام لهذا الكون الإنساني في أنموذجه الاجتماعي التاريخي. فثمة علاقة ثلاثية المنشأ تستلهم أركانها من هذه الأعمدة الثلاثة المكونة للمثلث النصي في التشكيل الروائي المجتمع / التاريخ / الرواية .

---

(1) التاريخ والرواية تفاضل أم تكامل : قاسم عبده قاسم ، مجلة العربي ، العدد 557، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب.

(2) ينظر ،التخييل التاريخي في الرواية المغاربية الجزائر – المغرب – تونس : شامخة طعام ، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي المعاصر ، جامعة وهران ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية و آدابها : 32.

والرواية تتفاعل مع التاريخ ، وتجسد أنموذجة المسخر لفعل الحكي الروائي بكل ايجابياته وسلبياته ، وإن كان الروائي يركز على الجوانب السلبية في الأعم الأغلب بوصفها مادة صراعية تحيل في كشوفها على الجوانب الأخرى كافة .

إن العلاقة بين الحدثين (التاريخي / الروائي) قائمة على أساليب مكشوفة تتبادل الإشارات ، والعلامات فيما بينهما مناطق الوجود ، والحفر في الباطن من جهة والروائي من جهة أخرى.[1]

وحتى يوفق الكاتب في الجمع بين ثنائية (الحاضر والماضي) ويستطيع التعبير عنها في جنس أدبي (الرواية التاريخية) لا بد أن يتعامل مع التاريخ بالنمط الذي قدمه لوكاتش ليستطيع التعبير عن الواقع وهموم الذات ونفخ روح العصر في زمن قد مضى وانتهى . من أهم أسباب عودة المبدع إلى التاريخ ما يلي :

1- استحضاره للأجيال القادمة ، قصد بناء مجتمع عربي قوامه الثقافة بإصلاح اعوجاجه وتقويم سلوكياته ، ونقل صورة محترمة للعالم عن الحضارة العربية وعن مآثر العرب و أدوارهم المهمة في الماضي كل هذا يقدم صورة فنية جمالية.[2]

2- ومنها ما تتعرض له الأمم العربية من مشكلات اجتماعية وخصوصًا ما أصاب الأمة العربية من غزو استعماري استهدف هويتها هذا " ما يدفعها إلى فتح سجلات الماضي لإيجاد حل لمأزقها ورفع لمعنوياتها وعلى صعيد الرواية التاريخية العربية " فإن مكانة العرب المتواضعة ، وهدرهم لإمكاناتهم في المآزق الطائفية و الإقليمية والفطرية سواها والإحساس فماضي الإنسان جزء منه لا يمكنه أن يعيش بمعزل عنه ، أو يقرر فجأة

---

[1] جماليات التشكيل الروائي : محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي ، دار الحوار للطباعة والنشر ، سوريا : 12 – 22.

[2] أنظر : الرواية التاريخية : سيار الجميل ، مجلة البيان ، جامعة آل البيت ، م2، 1999م ، 30-31.

الانفصال عنه لأنه يرتبط به ارتباطًا وثيقًا . والبحث عن مخرج لها.[1] "وحين وصل الخطاب الروائي بالتاريخ ، تنتصب ثنائية التخييلي والواقعي بأسئلتها المفتوحة ؛ إذ كيف يستقر واحدهما في الآخر ؟... لقد كان التاريخ في مركز الخطاب الروائي ، وظلت الرواية تعثر في التاريخ على المرجع والمرتكز ونقطة الانطلاق لزيارة الماضي مجددًا ، واعتنت بمجالات المعرفة العديدة الموجودة في هوامش الكتابة التاريخية ، وتحمّل أعبائها وآثارها .

يقوم خطاب الرواية على إبراز كل ما هو غير تاريخي بشكل مباشر ، وعلى تطويره في التشخيص والمحاكاة ، وتمنحها حريتها في التخييل والابتكار مجالا ممتدًا للاهتمام بجميع التفاصيل التي يهملها التاريخ أحيانًا ، نشأ نمط من التنافس صار معروفًا ومتجاوزا في الآن نفسه[2]. وضمن السياق الراهن ، أخذ الخطاب الروائي قَدَرَه على عاتقه ؛ بل صار يأخذه مأخذ الجد ؛ إنه يأخذ في الاعتبار الاتجاهات والتيارات الجديدة في التاريخ ، ويفرض رؤيته الخاصة على ذاته وعلى التاريخ في نفس الوقت ، من خلال اقتراح صيغ جديدة في قراءة الواقع ومقاربته وتمثله وفهمه وإنتاج معرفة به . وعلاوة على ذلك ، يؤكد تميزه ويسترد استقلاليته في تشخيص الواقع والتاريخ . وقد أبانت الحيرة والموارية اللتان ميزتا الإنتاجات الروائية الأولى عن مجادلات ومناظرات للجنس الروائي . وإذا كان التاريخ يدعي إنتاج خطاب حقيقي بصدد الماضي ، فالخطاب الروائي يبتكر عالمه التخييلي الخاص دون مزاعم أو ادعاءات ؛ بل إن تعريف الرواية التاريخية اكتنفه الكثير من اللبس والغموض بسبب اصطفاف حقلين متمايزين ومتعارضين : التخييل والتاريخ[3].

إذا كان الروائي قادرًا على التخيل ، فسوف يمنحه القدرة على استحضار التاريخ ثم تجاوزه. شرط بأن يطلع على المادة التاريخية ويستكشفها جيدًا. والشخصيات التاريخية

---

(1) الرواية التاريخية : نضال الشمالي : 136.

(2) المؤتمر الدولي الخطاب الروائي والتاريخ 2018 – 12 – 5 إلى 2018 – 12 – 7، الموقع مراكش ، المغرب.https://www.diae.events/events/62797 .

(3) المؤتمر الدولي الخطاب الروائي والتاريخ .

نوعان : شخصيات صرفة عاشت حقًا و أثبتها التاريخ على نحو معين ، والثاني شخصيات تاريخية متخيلة يفترض الروائي أنها كانت موجودة .

أما النوع الأول فيُرهق الروائي ويتعبه ليجعله يغوص عميقًا في أغوار التاريخ و أرشيف الشخصية ، من أجل البحث عن سيرتها وكل ما يتعلق بها . أما الثاني فهو متعة الروائي ، و إنقاذا له من التبعية التي تفرضها شخصيات النوع الأول[1].

إن رواية التخييل التاريخي تعطينا فرصة أن نذهب إلى ابعد من التاريخ والدليل على ذلك أن التاريخ يستولي على معظم الكتابات الأدبية في الوقت الحاضر ولا يزال الغرب و أوربا يكتبون روايات عن الحرب العالمية الأولى والثانية ، لأن التاريخ كان يتعامل مع الجماعات وليس مع الأفراد ولكن كل فرد من هؤلاء الأفراد له قصته، كما نرى ذلك في رواية (الحرب والسلام) كيف يستعيد التاريخ وكيف يستعيد من خلال التخييل التاريخي ، يستدعي الخيال الأدبي والعوالم المحيطة في كل هذه الاشكاليات التي حصلت ، و (رواية المنطقة الخضراء) للروائي شاكر نوري توثق للاحتلال الأمريكي للعراق وخاصة معالجة موضوع المترجمين الذين يتعاونون مع الاحتلال الأمريكي ويصبحون ادلاء على مواطنيهم وعلى رفاقهم واخوانهم ويصبحون أداة بيد الاحتلال الأمريكي ، وهكذا في رواياته الأخرى (حديث اليوم) و (مجانين بوكا) و (خاتون بغداد) و (الطاعون يا بغداد الطاعون) هذه الروايات الثلاث تربط بين تواريخ مهمة الطاعون تتحدث عن عام 1830م بداية انتهاء تاريخ وبداية تاريخ جديد انتهاء عهد المماليك ونهوض عهد العثمانيين ، و(خاتون بغداد) تتحدث عن عام 1917م وتحيل إلى نهاية العثمانيين وبداية حكم الإنجليز، و (مجانين بوكا) تتحدث عن عام 2003م وتحيل إلى دخول الأمريكان إلى العراق واحتلاله[2].

---

[1] ينظر ،التخييل التاريخي في الرواية المغاربية : شامخة طعام : 33.

[2] ينظر، الرواية والتاريخ : الروائي العراقي شاكر نوري.

أما عن اللغة التي يوظفها الروائي في الرواية التاريخية فلا يفترض أن تبتعد عن اللغة المعاصرة حتى لو كانت تعالج فترة زمنية ضاربة القدم . وهذا لن يؤثر على المصداقية الفنية التي يرجوها الروائي لأنه كتب رواياته للجيل القادم وليس الجيل السابق فمن البديهي تكون بلغة العصر[1].

وقد يتساءل القارئ عن سبب لجوء الروائي للتاريخ وعن العوامل التي تجعله يستحضره في الكتابة الروائية إلا أنه سرعان ما يدرك أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش . بمعزل عن التاريخ . بالسهولة كما نتصور ومهمة الروائي لن تكون يسيرة ما دام يرحل نحو أسوار التاريخ ، هذا الزمن المنتهي ليعبر عن الحاضر ذلك أن " تصوير التاريخ أمر مستحيل على المرء مالم يحدد صلته بالحاضر ، إلا أن هذه العلاقة التاريخية في حالة وجود فن تاريخي عظيم حقًا ، لا تكمن في الاستماع إلى الوقائع الراهنة ، بل في جعلنا نعيش التاريخ محددا بوصفهِ ما قبل التاريخ الحاضر ، وفي إضفاء شعرية أو شرعية على القوى التاريخية و الاجتماعية و الإنسانية التي جعلت من خلال مسار طويل حياتنا الراهنة على ما هي عليه ".[2]

وكانت العودة إلى التاريخ أحيانًا محاولة للهروب من الواقع العربي المهزوم والضعيف سياسيًا واجتماعيًا وحضاريًا ، بسبب سيطرة الاحتلال الأجنبي على البلاد العربية في بداية القرن العشرين ، وصعود الروح القومية والرغبة في الاستقلال ، ثم الحكم الجبري الظالم ، والهزائم العربية المتتالية بدءًا بضياع فلسطين عام 1948م حتى هزيمة عام 1967م ، وفقدان الأفق والأمل في الغد ... كل ذلك دعا إلى البحث عن فترات المجد والقوة والعظمة في التاريخ العربي الإسلامي؛ لإحيائها وبعثها من جديد، و للتعبير عن رفض هذا الواقع الأليم، والدعوة إلى الثورة والتغيير. لهذا فإن " الروائي قد يجد نفسه مضطرًا إلى مخاطبة الحاضر من خلال الماضي، وهنا يجد في التاريخ مجالًا رحبًا للتعبير عن نفسه عن طريق

---

[1] الرواية والتاريخ : نضال الشمالي : 44.

[2] الرواية التاريخية : جورج لوكاتش ، ترجمة : د. صالح جواد كاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط2، 1986: 114.

الرواية التاريخية "[1]. ويعرف سعيد يقطين الرواية التاريخية بأنها : " عمل سردي يرمي إلى إعادة بناء حقبة ما من الماضي بطريقة تخييلية حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة ، إننا في الرواية التاريخية نجد حضورا للمادة التاريخية لكنها مقدمة بطريقة إبداعية تخييلية "[2] ؛ فهي تعيد سرد أحداث مضت بالاستعانة بشخصيات تاريخية وشخصيات خيالية لإضفاء طابع التشويق وكسر رتابة التاريخ الذي يقدم وفق قواعد الخطاب الروائي الذي يقوم على البعد الخيالي مهما كان حقيقيًا ، وهذا التخييل هو الذي يجعل الرواية التاريخية مختلفة عن التاريخ حيث يصف يقطين قائلًا : " في الرواية التاريخية نجد حضورا للمادة التاريخية لكن بطريقة تخييلية إبداعية فكل الذين حاولوا البحث فيها يلجؤون إلى المقارنة بين السرد التاريخي والرواية التاريخية ، مميزين بينهما من جهة الحقيقة والخيال ، فكلما كان السرد التاريخي ميالا إلى الحقيقة وسرد الأحداث التي يمكن التحقق من واقعيتها أي مطابقتها للواقع كانت الهوية التاريخية ألصق بالتخييل والإبداع السردي"[3]؛ويقصد بذلك أن الرواية تتناول التاريخ بطريقة تخييلية ، ويمكن الفصل بين السرد التاريخي ، وبين الرواية التاريخية من خلال عنصر الحقيقة التي يمكن التحقق من صحتها وواقعيتها ، فإذا كانت الأحداث حقيقية موثقة كان سردا تاريخيا ، وكلما مالت الأحداث إلى الخيال والتخييل دخلت في مجال الرواية التاريخية .

وخلاصة الأمر،" أن الرواية بنية زمنية متخيلة خاصة ، داخل البنية الحديثة الواقعية ، أو بتعبير آخر هي تاريخ متخيل داخل التاريخ الموضوعي . وقد يكون هذا التاريخ المتخيل تاريخًا جزئيًا أو عامًا ، ذاتيًا أو مجتمعيًا ، فقد يكون تاريخًا لشخص أو لحدث أو لموقف أو لخبرة ، أو لجماعة ، أو للحظة تحول اجتماعي إلى غير ذلك . ورغم الاختلاف

---

[1] الرواية التاريخية العربية زمن الازدهار : قاسم عبده قاسم ، المستقبل ، الثلاثاء 27 تموز ، العدد 3723، ثقافة وفنون : 20.

[2] قضايا الرواية العربية الجديدة ، الوجود والحدود ، سعيد يقطين ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2010،ط1: 226 – 227.

[3] المصدر نفسه : 227.

في الطبيعة البنيوية الزمنية بين المتخيل والموضوعي ، فإن بين الزمنين أو التاريخين علاقة ضرورية ، أكبر من تزامنهما ، هي علاقة التفاعل بينهما"[1].

لا تنشأ بنية الرواية من فراغ ، بل هي نتاج للبنية الاجتماعية والثقافية الواقعية السائدة على حد سواء .وهي ثمرة بلغة التخييل لا بلغة الاستنساخ والانعكاس المباشر . أي أنها تعبير أبداعي ينبع من الموقف والممارسة والخبرة الحية والثقافية في قلب هذه البنية الواقعية .لهذا السبب فهي إضافة متخيلة لهذا الواقع تعبر عنه وتتفاعل معه وتتجاوزه في نفس الوقت. إنها تاريخه الوجداني الرأسمالية ومن خبرتها الخاصة ، هي في الوقت نفسه امتداد متطور للأساطير والملاحم والسير والحكايات الشعبية والقصص والمقامات التي تشكلت أبنيتها التعبيرية الخاصة حسب الأوضاع الاجتماعية السابقة على الرأسمالية التي نشأت في ظلها. [2]

وأخيرًا ، يجب التأكيد على أن الرواية التاريخية ليست تاريخًا ، ولا يمكن اعتبارها مصدرًا تاريخًا للمعلومات التاريخية من قريب أو بعيد . بل هو لون أدبي و عمل فني يستمد الإلهام من التاريخ ويعتمد عليه ، و التاريخ أحد ركائزه، وإذا اتفقنا على أن الرواية عمل أدبي له شروطه و أدواته وفنياته ، يجب أن نعترف بأن للروائي الحق في اختلاق الأحداث والشخصيات والأماكن ؛ لإعطاء عمله بعدًا فنيًا مقنعًا للقارئ ، فالرواية التاريخية ليست تاريخًا ، حتى لو كانت تستمد مادتها من التاريخ .[3] والباحثة تتفق مع هذا الرأي بأن الرواية التاريخية ليست هي التاريخ الحقيقي وإنما هي تخييل التاريخ بأسلوب فني جذاب يمثل قدرة الروائي في إعادة صياغة التراث بطريقة فنية توهم القراء بأن ما حدث فعلا وقع في التاريخ.

---

[1] الرواية بين زمنيتها وزمنها مقاربة مبدئية عامة : محمود أمين العالم ، مجلة فصول ، القاهرة ، العدد 1، المجلد الثاني عشر ، 1 يناير 1993م : 13.

[2] ينظر، الرواية بين زمنيتها وزمنها مقاربة مبدئية عامة : محمود أمين العالم : 13.

[3] بين الأدب والتاريخ ... محاولة لفك الاشتباك ؟ ، منير إبراهيم تايه ، الحوار المتمدن ، الأدب والفن ، 2017\5\24 ، https://m.ahewar.org.

المبحث الثالث: التاريخ بوصفه مرجعًا أدبيًا

يمكن أن تكون الرواية أحد مصادر التاريخ ، ويمكن أن يكون التاريخ مرجعًا للرواية ومصدرًا تستمد منه موضوعاتها ومكوناتها لأن هناك ارتباطًا فطريًا بين التاريخ والفن الروائي ، حيث يتضمن كلاهما سرد الأحداث في شكل فني ، وبسبب وجود هذه العلاقة بين الفن والتاريخ ، تحول الكتاب إلى قراءة هذا المصدر الغني وهضم صوره وصياغة موضوعاته بصيغة حية نابضة لتغدو وسيلة للتعبير من خلالها عن أنفسهم باعتبار أنها ذوات تحس وقلوب تنبض . ولعلّ هذا التداخل والتكامل بين الرواية والتاريخ دفع النقاد إلى التمييز بين كتابة التاريخ والرواية التاريخية والرواية الأدبية، فالرواية التاريخية تشترك مع الرواية الأدبية في وجود بنية تاريخية تتأسس عليها (أشخاص وفضاء وشخوص كما في الواقع) لكن الرواية التاريخية تنطلق من ذوات و أحداث حقيقية وتشكل جزءًا من التاريخ.[1] " كانت الرواية وما تزال هي المتسيد الأول لاستثمار التاريخ في الأدب ، إلا أن كثرة إقبال الدارسين لموضوع توظيف التاريخ في الرواية غطى على توظيف الأجناس الأخرى للتاريخ ، فالمسرحية توظف التاريخ ، والشعر يوظف التاريخ ، والقصة القصيرة والسيرة الذاتية توظفان التاريخ مما يحتم علينا أن نشرع الباب أمام محاولات نقدية جادة لتغطية هذه الأجناس. لقد تبدلت رؤى النقاد في القرن الواحد والعشرين في استدراج التاريخ إلى كتاباتهم وتباينت غاياتهم وتجددت طرائقهم، مما يعني أن القول النقدي في ذلك قول مرغوب فيه وأصيل ، وأن الدراسات النقدية الموجهة لهذا الموضوع مطلوبة لغربلة ما يبدعه الأدباء وما يستدركه النقاد "[2] .

إن أوضح صورة في علاقة الأدب بالتاريخ كانت من خلال الرواية أولًا ، أي منذ أن كانت وظيفة المؤرخ أن يحكي (ماذا حدث) ، حيث كان الحكي والرواية جزءًا أساسيًا من

---

[1] ينظر، العلاقة بين الرواية والتاريخ : زياد الأحمد ، مجلة الجديد ثقافية عربية ، تصدر من لندن ، يناير \ كانون الثاني ، 2020 ، العدد 60: 11.

[2] توظيف التاريخ في الأدب : جمعية النقاد الأردنيين ، مؤتمر النقد التاسع ، 14 – 15 أيار -2022: 2-1، jordaniancritics@gmail.com .

أسلوب المؤرخ في أداء وظيفته ، وربما يكون هذا ضمن أسباب أخرى، هو السبب في أن كتب التاريخ في تراثنا ، وتراث الآخرين ، تحفل بالمفردات والكلمات مثل : روى ، ذكر ، قال ، أخبرني ، حكى ... ، وما إلى ذلك من مفردات وكلمات تشير إلى وظيفة الحكي والرواية . بل إن عددا كبيرا من الكتب التي تم تدوينها على أنها " رواية فلان " تبدأ فقراتها بعبارة : قال الراوي ... من ناحية أخرى ، لا تخلو كتب التاريخ نفسها من الحكايات ، فبعضها يحمل طابع الخيال والأسطورة ، وبعضها قصص قصيرة ، والبعض الآخر قصص طويلة ، ومع ذلك فهي لا تخلو من الحبكة الفنية والإثارة . نجد هذا ، على سبيل المثال ، في روايات المؤرخين المسلمين عن سقوط بغداد على أيدي المغول عام 1258م ، أو في الروايات التي كتبها المؤرخون عن نبوءات مستقبل الخلفاء[1].

تتوثق علاقة التاريخ بالأدب مرحلة إثر مرحلة ، فالتاريخ ما انفك ملهمًا لكثير من الأدباء نظير ما يقدمه من مادة سردية خصبة توثق إرث الإنسان وتنهض بتراثه . وقد استهوت منعطفاته وقضاياه المفصلية قريحة الأدباء ، فتناصت أعمالهم مع التاريخ ، فاستلهموا حكاياته واستعاروا شخصياته ونظموا أعمالهم على طرائقه وأساليبه "[2] واختلف النقاد في علاقة الأدب بالتاريخ منهم من قال : " أن العلاقة بين التاريخ والأدب علاقة جدلية تنطلق من مبدأ الحوار أو التوافق أو التعارض ، وقد تنافست الأجناس الأدبية على النهل من معين التاريخ لغايات مختلفة ؛ كإعادة تفسيره ، أو استكمال ما سكت عنه ، أو تأويله وتوجيه نصوصه . وقد تحقق هذا الاستئناس بالتاريخ بطرق متعددة خلاقة ، فمنهم من اتخذه قناعًا فنيًا يشير إلى مرحلة ما ، ومنهم من اكتفى بالتناص معه ، ومنهم من قصد استعارة رموزه ، ومنهم من تمثل أساليبه وطرائقه السردية فيما يكتب إلى الحد الذي امتزجت فيه مهام المؤرخ بمهام الأديب [3].

---

[1] ينظر، الأدب والتاريخ .. مقاربة منهجية : د. عبد الحكيم الكعبي ، جريدة القبس الثقافي ، الدوحة – قطر ، 12 مارس 2022 https://www.alqabas.com.

[2] توظيف التاريخ في الأدب : جمعية النقاد الأردنيين: 1.

[3] توظيف التاريخ في الأدب : جمعية النقاد الأردنيين : 1.

ومنهم من قال أن للأدب علاقة وثيقة بالتاريخ ، حيث يستمد مادته من بطون التاريخ ويصفها ويدونها. ولعل ما يميز الأدب عن التاريخ هو أن الأخير يعتمد على الحقائق ، بينما يقدم الأدب نفسه بوصفه شكلًا فنيا، مما يؤهله لإنتاج القصة الخيالية ، وكذلك الأدب التخييلي القصصي . يرتبط الأدب بالتاريخ في مجال الأدب المقارن ، حيث يعمد هذا النمط التحليلي لدراسة نصين أدبيين ينتميان إلى لغتين أو ثقافتين مختلفين في هذا السياق.[1]

ولما كان التاريخ من أقدم العلوم التي تهدف إلى دراسة الإنسان في الزمن ، فهو يمثل دراسة المسارات الشاملة والدقيقة للأجيال في العصور والمراحل السابقة ، فإنه يعد ذاكرة البشرية . إنه احتياطي هائل من الأحداث والتجارب والخبرات التي مرت بها الشعوب والحضارات المتعاقبة . ومن هذه الزاوية تبدو علاقته بالأدب شديدة التداخل والتواشج . إذ يستمد كلاهما " قوته من التشابه مع الواقع ، وليس من أي حقيقة موضوعية . وكذلك فإنهما يعدان بناءين لغويين استقرت لهما أشكالهما السردية ، ولا يمتلك أيهما اليقين الكامل من ناحية اللغة أو البناء ، كما أنهما يبدوان متساويين في مسألة التناص أي استخدام نصوص سابقة في النسيج النصي المعقد لكل منهما "[2] . فإن العمل الأدبي له أهمية كبيرة بالنسبة للمؤرخ ، لأنه يتيح له الوصول إلى حياة الماضي . ولإبراز هذه الأهمية ،يمكن أن نقدم البيوغرافيا[3] مثالًا. فهذا النوع الأدبي الذي يستقرئ حقبة من الزمن في مختلف تمظهراتها وتعابيرها من خلال تتبع سيرة الفرد ، يحظى بأهمية محورية عند المؤرخ .[4] فالبيوغرافيا من أكثر الأشكال التعبيرية تعزيزًا للتصور عن السرد باعتباره اجتماعيا . ففيها يتعين الفرد بوصفه " فرصة للمؤرخ ، لينبش التاريخ ، على نحو شمولي ، متتبعًا مسار الفرد ، من

---

(1) ينظر ، الأدب والتاريخ : هاشم كاطع لازم ، مجلة المنال ثقافة و أدب ، تصدرها مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية ، ترأس تحريرها ، سعادة الشيخة جميلة بنت محمد القاسمي ، نوفمبر ، 2017.

(2) من التاريخ إلى الرواية الذاكرة الجمعية مصدرًا للسرد : إدريس الخضراوي ، تبين ، العدد 33 / 9، صيف ، 2020 : 81

(3) فهي مساحة تغطية السيرة الذاتية بشكل مختلف لشخصيات متميزة .

(4) من التاريخ إلى الرواية : إدريس الخضراوي : 81.

خلال محيطه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي وغيره من حقول التاريخ المختلفة "[1].وبالنتيجة ؛ فهي تمكن استنادًا إلى تتبع سيرة الفرد الذي هو موضوع الدراسة من التعرف إلى " شبكات العلاقات واستراتيجيات الأفراد في نسج خيوط حياتهم . ويمكن البيوغرافيا أيضًا أن تساعد على دراسة التطورات الحرفية والاقتصادية والتغيرات التي يمكن أن يعرفها الفرد ضمن سيرورة جماعية ، وهو ما يسمح بدراسة الحراك الاجتماعي عبر ذلك التتبع الذي يمارسه الباحث لشخصية بحثه "[2] .

ولعل مصدر الإشكالية بين التاريخ والرواية يأتي من دلالة المصطلح الذي لا يؤسس لأي تمييز بين الرواية التاريخية التي تقوم على سرد الوقائع والأحداث التي وقعت في الماضي ، متتبعة في سردها التسلسل الزمني الطبيعي ، والرواية التي تأخذ التاريخ كمساحة لها ، باستخدام أدوات الخطاب التخييلي .[3]

والفرق بين عمل كل من المؤرخ والروائي ، فكلاهما يوظف خياله لحظة تشييد سرده حيث يسعى كل منهما إلى توضيح التجربة البشرية القائمة بالزمن وفي الزمن فهي لا تتميز ولا تتمفصل ولا تتوضح إلا بالسرد[4] ." والسير الذاتية تعد مصدرًا من مصادر دراسة التاريخ عن فترة معينة ، شرط ألا ينشرها صاحبها في حياته و إنما يكتبها لنفسه أولًا بأول وكأنه مؤرخ لإبداء رأيه في الأحداث التي يعاصرها وأشخاصها والنموذج لهذا النوع مذكرات سعد زغلول ومحمد فريد وعبد الرحمن فهمي رئيس الجهاز السري لثورة 1919... لأنهم ذكروا وقائع وهاجموا أشخاصًا واعترفوا على أنفسهم بحيث لم يكن من الممكن نشرها في حياتهم و إلا تعرضوا للقيل والقال ، فمثلًا يعترف سعد زغلول على نفسه بأن داء شرب الخمر تمكن منه وكذا داء القمار ، ... أما الذي ينشر مذكراته في حياته فهذا نوع

---

[1] استعمالات البيوغرافيا : جيوفاني ليفي ، ترجمة محمد الطاهر المنصوري ، أسطور ، العدد 3 كانون الثاني / يناير 2016 : 26.

[2] المصدر نفسه : 26.

[3] العلاقة بين الرواية والتاريخ : زياد الأحمد : 11.

[4] الرواية والتاريخ و إشكالية التداخل : بو جمعة بو حفص : 508.

من الذكريات المختارة والمنتقاة ؛ إذ لا يكتب عن نفسه إلا في إطار البطولة ولا يعترف بأخطائه و إنما يكتب عن الآخرين "[1]

وهكذا يبقى التاريخ مصدر إلهام للأدباء والفنانين ، فهو مصدر لا ينضب للشعراء والكتاب من جميع الأنواع ومجالات العمل والشعراء والنثر والمسرح والقصة والرواية لسبب بسيط هو أن التاريخ يحمل التجربة الإنسانية بثرائها وتنوعها وحيويتها ، ومن ناحية أخرى ، لا تزال الإبداعات الأدبية بأشكالها وفنونها المختلفة مصادر تاريخية مهمة لا يستطيع المؤرخون تجاهلها لأن هذه الإبداعات هي جزء عضوي من التجربة الإنسانية في الكون ، وهو مجال الدراسة التاريخية . لا يمكننا أن نتخيل كيف يمكن فهم تاريخ أي جماعة بشرية في أي وقت وفي أي مكان من غير التعرف على فنونها وآدابها التي تعبر عن روحها وتحمل آمالها وتطلعاتها وتعبر عن نجاحها وإخفاقاتها وكذلك تكشف رؤيتها لذاتها وللآخر وللعالم الذي تعيش فيه ودورها في هذا العالم[2] .

وعليه فكل ما له تأثير في تكوين الأمة له تأثير في نسج أدبها . أدب الأمة تاريخها كتبته بقلمها إنها تصور لنا أخبار تقدمها العقلي والأخلاقي . وإذا تابعنا تاريخ الأدب بكل تقلباته ، فنحن على اتصال مباشر بالأسباب الحقيقية والحركات الدافعة لحياة الأمة في العصور المختلفة ، ونستطيع فهم وجهة نظر أهل تلك العصور للحياة و ألوان مسراتها و أنواع ملاهيها وفلسفتهم في الوجود ومختلف العواطف و الأحاسيس التي كانت تجول بنفوسهم ، ومثلهم العليا في الأخلاق والذوق ، وأي صفات البطولة كان لها سلطان قوي على النفوس ، وكان لها نصيب كبير من الأعجاب ، فالأدب مرآة تنعكس عليها روح الشعب وحياته.[3] وبما أن النص الأدبي شكلٍ من أشكال وثيقةٌ تاريخية ، فمن البديهي أن تكون عملية استنطاقه مرتبطة بالمنهج التاريخي ، ومن المنطقي البدء بتحديد موقعها من

---

[1] كتابة التاريخ تبدأ حين تنتهي السياسة : المؤرخ عاصم الدسوقي ، جريدة الشرق الأوسط ، الاثنين ، 4 ذو القعدة 1439، 16 يوليو 2018 ، رقم العدد 14475.

[2] الرواية التاريخية العربية : زمن الازدهار : قاسم عبده قاسم : 20.

[3] تاريخ الأدب : محمود محمود محمد : مجلة الرسالة ، العدد 48 ، 4 – 6 – 1934.

هذا المنهج . فإن المصادر التاريخية من نوعين رئيسيين : المصادر الأولية ، وهي كل نتاج حسي من العصر المراد التأريخ له ؛ والمصادر الثانوية ، وهي كل تأريخ مبني على المصادر الأولى ، فإن الغرض من التساؤل عن النص هو فهم روح العصر ، أي الإحاطة بمنتجات العصر الفكرية ، وبناءً على ذلك ، يتم التعامل مع النص الأدبي في هذه الحالة على أنه مصدر تاريخي أولي . بمعنى آخر لا تكمن أهمية المصدر في النص نفسه فقط ، بل تتعداه لتشمل ما بين السطور ، مثل الأفق المعرفي للنص ، وطبيعة المفردات المستخدمة ، والخلفية الاجتماعية التي نشأ فيه الكاتب وسوى ذلك من أمور أخرى.[1] إذا أن معاملة النص الأدبي كمصدرٍ تاريخي تتجاوز النص نفسه إلى ما هو أكثر من ذلك . ومن الواضح كذلك أن كتب التأريخ السردية التقليدية وحدها لا تعطي صورة كافية للحياة الفكرية في أي عصر .

" هذه العلاقة العضوية بين الأدب والتاريخ تتجلى بأوضح صورها وتتجسد في الرواية التاريخية ؛ لأنها ببساطة شكل أدبي موضوعه تاريخي . ولسنا هنا بصدد تعريف الرواية التاريخية و إنما نحاول رصد وظيفتها الثقافية الاجتماعية من ناحية، ومدى تعبيرها عن المجتمع من ناحية أخرى . وعلى الرغم من أن كثيرًا من الباحثين يربطون الرواية في شكلها الحديث بالتراث الأدبي الأوربي ، يجب ألا ننسى حقيقة أن فن الحكي فن عريق في تاريخ الثقافة العربية التي أنتجت أجمل السرديات في تاريخ الإنسانية ، ومن ثم فإن الأصول العربية تقف وراء ازدهار الرواية العربية الحديثة "[2] إذ أنتج الأدب العربي الحديث عددًا كبيرًا من الروايات التاريخية استنادا إلى تراثه التاريخي الغني الممتد ، احتلت الرواية التاريخية العربية منذ البداية مكانة متميزة بين فنون الإبداع الأدبي . بالطبع ، كانت وظيفتها الثقافية والاجتماعية في ذلك الوقت مختلفة عن وظيفتها الحالية.[3]

---

[1] التاريخ يستنطق الأدب : حسين الإسماعيل ، مجلة القافلة السعودية ، تصدر من أرامكو السعودية ، عدد1 ، مجلد 66 ، يناير – فبراير ، 2017.

[2] الرواية التاريخية العربية : زمن الازدهار : قاسم عبده قاسم : 20 .

[3] المصدر نفسه : 20 .

فقد أشار جرجي زيدان إلى أن عامة القراء لا يقبلون على قراءة التاريخ إلا إذا كان ممزوجًا بالخيال ، أي أنه وظف الفن الروائي في خدمة المعرفة التاريخية بقوله أننا : " لا نريد بالرواية التاريخية أن تكون حجة ثقة يُرجع إليها في تحقيق وتمحيص الحقائق ، ولكننا نريد أن نمثل التاريخ تمثيلًا إجماليًا بما يتخلله من أحوال الهيئة الاجتماعية (المجتمع) على أسلوب لا يستطيع التاريخ المجرد إذا صبرَ الناسُ على مطالعته .. فإن جُرّدت روايتنا من عبارات الحب ونحوه ، كانت تاريخًا مُدققًا يصحّ الاعتماد عليه ، والوثوق به ، والرجوع إليه ، وإن كنا لا نطلب الثقة بها إلى هذا الحد ، وإنما نعرف لها مزّية هي تشويق لمطالعة التواريخ باطلاعهم على بعضها على سبيل الفكاهة "[1]، وقد سار على نهجه كثير من الروائيين الأوائل .

تعامل المؤرخون مع التاريخ كفرع من الأدب سواء في التراث العربي أو غيره . ولعل كرسي التاريخ ظل مرتبطًا بقسم الأدب الإنجليزي في الجامعات البريطانية حتى السنوات الأولى من القرن العشرين أو الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، الأمر الذي يؤكد ذلك. إن المطلع على كتب المؤرخين سيرى تداخلًا بين الأدب والتاريخ ، بدءًا من ابن إياس ، كما أنه سيجد المؤرخ يستأنس بقاموس مفرداته : روى ، حكى ، قال ... إلخ من المفردات تجعل وظيفة المؤرخ : الحكي ، كما أن المتأمل في بعض كتب التاريخ ، مثل تلك التي تروي سقوط بغداد على أيدي المغول في منتصف القرن الثالث عشر ، أو روايات المقريزي عن فتح مصر ، سيلاحظ أنها خيالية وذات لمسة فنية وإثارة . ولعل هذا ما ألمح إليه أو أثارة واسيني الأعرج خلال الندوة التي نظمتها رابطة الكتاب الأردنيين حول علاقة الرواية بالتاريخ ، متسائلًا هل تاريخ أبو الحسن المسعودي كله تاريخ ؟ وتاريخ ابن خلدون كله حقائق لم يدخلها فعل القص الذي ينقض التاريخ نفسه؟.[2]

---

[1] علاقة الرواية الأدبية بالتاريخ : د. الحاج صادوق : جسور المعرفة ، المجلد 5 ، العدد 1 ، 2019: 204 .

[2] الرواية التاريخية العربية بين التوثيق والخيال : رجاء مستور :56 – 57 .

فالتاريخ ، علم دراسة أفعال الأنسان والطبيعة ، الذي يقدم معلومات وحقائق من الواقع ، مثبتة بالأدلة والبراهين والآثار الحية ، ويلعب المؤرخ دورًا في الربط بين الأحداث التاريخية المختلفة ، وتحليلها وتقييمها ، وتوقع نتائجها .

أما الأديب فيقدم نماذج قد تكون انعكاسًا للواقع الذي يعيشه أو يحيط به ، بخبرة جمالية ، يستخدمها في التعبير عن الموضوع ، أو يقدم عالمًا خياليًا ، ومفترضًا محاولًا إقناع القراء به ، وفي كلا الحالتين ، فإن العمل الأدبي يحفل بالتعبيرات المجازية ، والصور الفنية .

ويتفق المؤرخ مع الأديب في أنهما يجب أن يغرسا في مجتمعيهما مشاعر العز والفخر والفضائل ، ويبعدا عنها مشاعر البغضاء تجاه الحضارات الأخرى ، وقطع الطريق على أية محاولة لتكريس التبعية الفكرية[1] .

إن الأدبية التي تجعل من نص ما نصًا أدبيًا هي التي تحدد الإطار للتداخل بين المعارف ، و ما مقدار السطوة أو الانحسار ؛ فالأدب الذي يتسع ليشمل الأجناس الأدبية المختلفة ، ما هو إلا ذلك الأدب المشكل للحياة في إطار من الإنسانية المتمازجة مع مختلف العلوم خدمة وتطويعًا لفهم الإنسان وحياته ؛ فتداخل الأدب بـ " المادة التاريخية في الفن الروائي ليس هدفه تشويه التاريخ أو نقله حرفيًا ، و إنما غرضه صياغة هذه المادة بطريقة فنية ، يمزج فيها التاريخي بالمتخيل في قالب روائي ، ليصبح بذلك عملًا روائيًا أدبيًا عالج

---

[1] جدلية العلاقة بين التاريخ والأدب العربي الإسلامي : أ. د عماد الدين خليل ، أنموذجا : د. عدنان ملحم ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، العدد السادس والثلاثون (1) ، حزيران 2015 : 262 – 263 .

واقعة تاريخية " ، أو أدى وظيفة من الوظائف التي لا يمكن تحققها إلا بالحضور التاريخي المتمازج مع الخيال الأدبي[1].

إن الأدب بشكل عام والسرد الروائي بشكل خاص ، يُثبت حضوره الفني من خلال البُعد الفني والأسلوبي القابل للتعدد والتأويل ، وهو الأمر الذي يضعف في التاريخ توثيقه العلمي المنضبط بالأرقام و الإحصاء والوقائع التاريخية ، وبالتالي فإن حضور المتخيل الفني الذي يفكك من القولية هو ما يُكسب النص أدبيته ويخرجه من تاريخيته وعلميته[2].

ومن خلال ما تقدم نلاحظ ارتقاء العلاقة بين التاريخ والأدب ، دون أن تغيب ، وصار الأدب واحدًا من أبرز مصادر الدراسات التاريخية ، وصار التاريخ واحدًا من أهم موضوعات الأعمال الأدبية . والتقى الاثنان : التاريخ والأدب في سعيهما إلى تحقيق قناعات واحدة أو متشابهة.

---

(1) التاريخ والرواية الجديدة : رواية " زمن الخيول البيضاء " لإبراهيم نصر الله نموذجا : zainab . Dol: 10.26650\jos: 842105,Sarkiyat mecmuasi- journal ، AL YASIESSA of oriental studies 38,2021 : 183 – 192 .

(2) المصدر نفسه : 192 .

الفصل الثاني : الوقائع التاريخية وإعادة الإنتاج في رواية 17 رمضان

المبحث الأول: المرجع وإعادة إنتاج المعنى في رواية 17 رمضان.
المبحث الثاني: النص الروائي من حركة الذات إلى حركة التاريخ.

المبحث الأول : المرجع وإعادة إنتاج المعنى في رواية 17 رمضان

لقد جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة " رَجَعَ " " رَجَعَ ، يَرجَعُ ، رجعًا ، رجُوعًا ، رُجعى ، رجعانًا ، مَرجعا ، مرجعة "[1]، انصرف ، وفي قوله تعالى : " **إن إلى رَبِكَ الرُجعَى** "[2]، أي الرجوع والمرجع ، كل هذه المعاني المذكورة في قول ابن منظور تدل على معنى الرجوع والعودة .

المرجع في الاصطلاح : " حقيقة غير لسانية ، تستدعيها العلامة "[3]، و تتكون مرجعية الأديب شاعرًا كان أم ناثرًا في ضوء تفاعل أو تداخل خطابه مع خطاب آخر ديني أو أدبي أو ثقافي تاريخي أو أسطوري وما إلى ذلك وقد يكون الخطاب المستحضر أو المستدعى سابقًا عليه أو معاصرًا له .[4]

فالمرجعية – أذن – هي كل ما من شأنه أن يُعدّ منبعًا ثقافيًا أو فكريًا لكل ما يُلفظ أو يُكتب وقد لا يكون هذا الاستحضار قصديًا أو مخططًا له بل يأتي منسابًا مع خطاب المتكلم إذ يستحضره بوساطة عملية استدعاء المعاني التي تتداخل بألفاظها في خطابه ويندمج الخطابان في بنية واحدة مكونًا خطابًا جديدًا ذا فاعلية تأثيرية في متلقيه .

إن التاريخ العربي والإسلامي بما يمتلك من قوة تأثير قادر على أن يكون مرجعًا مهمًا وملهمًا للكتابة الإبداعية بشتى أنواعها وتجلياتها، سواء في التعامل مع الموضوعات ، أو في صياغة اللغة الإبداعية ، أو في توظيف بعض جوانب التراث التاريخي أو الأدبي الزاخرة بصنوف المقومات الداعمة للإنتاج الأدبي ، كالمواقف الإيجابية الكبرى، والحروب

---

(1) لسان العرب : ابن منظور : مادة رَجَعَ .

(2) سورة العلق : 8 .

(3) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة عرض وتقديم وترجمة : د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ط1 ، 1405 – 1985 م : 97 .

(4) ينظر ، المرجعيات الثقافية في شعر ابن الأبار القضاعي الأندلسي ت 658 : ساره محمد اتويه اللامي ، رسالة ماجستير مقدمه إلى مجلس كلية التربية – جامعة ميسان ، 1440 – 2019 : 3.

والنزاعات في العصور القديمة ، والمواقف التاريخية القديمة والحديثة ، والتاريخ الأدبي و إبداعات تلك العصور في سياق المرجع التاريخي الذي استفادت منه الرواية العربية بشكل كبير بوصفها أكثر الأنواع الأدبية قدرة على التفاعل مع الحياة الحاضرة والماضي الغابر على حدٍّ سواء [1].

في النصوص الروائية التي تتكئ على استحضار التاريخي في بنيتها تكون ثمة مرجعيتان لخطاب السرد في الرواية : مرجعية تاريخية (خطابية – خارجية) تعمل كأفق مرجعي لأحداث النص الذي يلتمس منها بعض السمات الشكلية لتعميق إحالته إلى التاريخي ، ومرجعية نصية (علاماتية – داخلية) ترتبط بسيرورة السرد ، وبشخصيات عالمه الممكن ، وبمكانه وزمانه لتعميق الإحالة إلى ذاته نصًا وجنسًا أدبيًا (رواية). وبين هاتين المرجعيتين يتجلى جدل الخطاب التاريخي والنص السردي على مستويي : المضمون (المعلوماتي) ، والشكل (الجمالي) . وتتراوح بينهما " وجهة النظر " التي تمثل ، بشكل ما ، رؤيةً للتاريخ[2].

في حين إنّ الإنتاج لغةً:مصدر للفعل (انتَجَ) ، وهو ما يحصل عن استغلال شيء أو ابتكاره.[3] إما في الاصطلاح : فقد وردت لفظة (أنتاج) عند الدارسين المعاصرين ، إذ وجدت هذه اللفظة أو المصطلح عند الدكتور عبد القادر الرباعي عندما كان يتكلم على القراءة ، وذكر أن " وليم راي " أوجد عبارة " إيجاد المعاني " للتعبير عن أثر القراءة في إيجاد المعاني ، فيما ذهب الدكتور الرباعي إلى أن لفظة " أنتاج " هي أكثر دلالة عما يُرام

---

(1) ينظر ، مدخل – المرجعية التاريخية للرواية الخليجية : فهد حسين ، الإيام ، العدد 9862 ، السبت ، 9 ابريل ، 2016 ، الموافق 2 رجب 1436.

(2) ينظر، العلامة والمرجع سيمياء المرجعيات التاريخية في رواية " العمامة والقبعة " : د. محمد إبراهيم عبد العال ، مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، مجلد 32 ، العدد 125 ، إبريل 2021: 9 – 10 .

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عمر ت 1424، عالم الكتب، ط1، 2008م: مادة " نتج ".

التعبير عنه ، وفضلها على لفظة " إيجاد " ، وعلل ذلك بأن " كلمة إيجاد قد تعني لبعضهم التفتيش عن معانٍ محدودة و إيجادها ، أما كلمة " إنتاج " فتعني انفتاح القارئ على النص واستنباط المعاني التي توحي بها شبكة العلاقات الداخلية بين الكلمات و الأشياء في ذلك النص "[1].

والمعنى لغةً: " مَعنَى كل شيء: مِحنَتُهُ وحالُه الذي يصير إليه أمره "[2]. وهنا إشارة إلى التحول والانتقال الذي يُحدِثُه الكلام. أما في الاصطلاح: ما يقصد بشيء، وهو الذي لا يكون للسان فيه حظ و أنما هو معنى يعرف بالقلب.[3] وقد بينَ الدكتور شِلَر وجهة نظره التي مفادها أن " المعنى شخصي في أساسه ... فما يعنيه أي شيءٍ يعتمد على من يَعنِيهِ "[4].

فالمعنى يحمل غاية ويسعى إلى غرض وهدف ، وهذا يعني أن له ارتباطًا برسالة إنسانية ، لذا " عُد المعنى من الفنون الأدبية العالمية ، لأن له ارتباطًا بفكر الإنسان وحضارته وحياته "[5].

أما عن الكيفية والآلية التي يتبعها المبدع في إنتاج المعاني فقد بينها أحد الباحثين من خلال اتجاه النص نحو إخبار المتلقي أو القارئ المتلهف لفهم مضمون الإخبار الذي تنطوي عليه رسالة المبدع على ضوء معطيات أخرى قد لا تتضمنها الرسالة بهدف المساعدة في توسيع دائرة الفهم والتأويل عِبرَ تفاعل عوامل الإثارة الكامنة في النص ومجموعة الاستجابات

---

(1) نقلًا عن : إنتاج المعنى في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري : محمد نوري عباس ، مكتبة المجتمع العربي ، ط1 ، 1435 – 2014 :17.

(2) لسان العرب : ابن منظور : مادة " عنا " .

(3) التعريفات : العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان – بيروت ، طبعة جديدة ، 1985م : 336.

(4) معنى المعنى دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية : أوغدن ورتشاردز ، ترجمة ، الدكتور كيان أحمد حازم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، 2015 : 265.

(5) إنتاج المعنى : د. محمد نوري : 21 .

والأفعال الإرجاعية التي لا تتبلور في ذهن القارئ ووعيه إلاّ على ضوء ما يثيره النص من تلك الاستجابات المتنوعة[1].

في حين جسّد أحد الباحثين خطوات إنتاج المعنى على الشكل الآتي [2]:

فوجود ما يمكن تسميته بالمعنى النثري وتوافره في ذهن الأديب يقابله أو ينحسب عليه توافر المعنى النثري في ذهن القارئ أو المتلقي حتى يتمكن هو الآخر من إنتاج المعنى ، ذلك المعنى الذي قد يكون سبقه إليه الأديب.

ويتجلى إنتاج المعنى بصور مختلفة في روايات جرجي زيدان ، ومنها روايته – قيد البحث – وذلك بحسب قناعته وموقفه من الأحداث التي يريد تمريرها لقارئه الذي تقع عليه – بدوره – تحديد مرامي المؤلف ومقاصده من خلال الإشارات والمعطيات التي تكتنفها لغة النص ، وتنطوي عليه أحداثه وعناصره الفنية الأخرى، وذلك عن طريق الآتي :

- **العنصر الأول: الأمكنة و خصوصيتها**

تمثل الأمكنة مكونات أساسية في بنية الرواية ، فـ" لا وجود لأحداث خارج المكان لأنّ كلّ حدثٍ يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين ... ويمثل المكان – إلى جانب الزمان – الإحداثيات الأساسية التي تحدد الأشياء الفيزيقية ، فنستطيع أن نميز فيما بين الأشياء عن

---

[1] للاستزاده بذلك ينظر مثلًا : المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب : إدريس بلمليح ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بيروت ، ط1 ، 1995 : 279 وما بعدها .

[2] ينظر ، إنتاج المعنى : د. محمد نوري : 24.

طريق وضعها في المكان ، كما نستطيع أن نحدد الحوادث عن طريق تاريخ وقوعها في الزمان "[1].

وعند العودة إلى رواية السابع عشر من رمضان نجد أن طبيعة الأمكنة انقسمت إلى قسمين رئيسين هما :

أ - الأمكنة الخاصة : وهو المكان الذي حددت مساحته ومكوناته ، كمكان العيش والسكن الذي يأوي إليه الإنسان ، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته ، أو بإرادة الأخرين لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية ، الذي يكشف عن الألفة و الأمان ، أو قد يكون مصدر للخوف والذعر[2].

- **البيت** : يؤدي البيت دورًا مهمًا في الحياة ككل . إنه مكان السكن والدفء ، وفي هذا النص يحضر البيت في أوجه متعددة في حياة الأبطال . " قطام " تعيش في بيت هادئ بعيد عن المدينة وضوضائها مؤلف من ثلاث غرف متصل بعضها ببعض ، وفرشت أرضها بحصر من سعف النخيل فوقها جلود الماعز ،و فيه مصباح ضعيف النور. ولعلّ في بعد هذا البيت عن الأضواء وعن المدينة والناس إيحاء ضمني على المؤامرة الكبرى التي حيكت داخل أسوار هذا البيت البعيد للفتك بالإمام علي " عليه السلام " واهتم الكاتب برصد حالة قطام داخل البيت إذ جعله المكان الذي تبث فيه أحزانها وشكواها وحبها للانتقام وثم تحول البيت إلى مكان للتآمر على قتل الإمام علي (عليه السلام). أما البيت الذي حبست فيه خولة فتحول إلى سجن لمنعها من الخروج واللقاء بأنصار الإمام علي ، أما بيت الإمام علي فقد " كان منزل الامام علي بجانب المسجد ، وبينهما باب السدة يدخل منه الامام للصلاة . وكان للمنزل دار واسعة فيها المقاعد والمجالس لمن يفد عليه من الولاة و أهل الامصار . وبجانب المنزل ساحة واسعة فيها مرابط للخيل

---

[1] تحليل النص السردي ، تقنيات ومفاهيم : محمد بوعزّة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، الجزائر ، ط1 ، 2007 م : 99.

[2] التوظيف الفني للتاريخ في رواية " فتح الأندلس " ل : جرجي زيدان : سناء شويب : 44 – 45.

ومواقف للجماعات لا تبرح غاصة بجماهير الناس من دعاة الامام ، وكلهم متفانون في نصرته معترفون بامامته لا يرون أحدًا أولى بها منه "[1] وهنا نلمس الفارق الواضح بين الأمكنة (بيت القاتل وبيت الضحية) إذ يحوّل المبدع المكان إلى وسيلة تخدم طبيعة الشخصية لتؤدي هذه الأمكنة بالنتيجة دورًا غرضيًّا أو لتكون بمثابة شخصية فاعلة متحركة . وقد ذُكر في التاريخ أن البيت يتميز ببساطته وتواضعه ومساحته الصغيرة 370 مترا مربعا ، ويضم خمس غرف ، تتوسطها باحة مكشوفة (أي أنه ينتمي إلى العمارة الكوفية ونظامها آنذاك) ، وفي الباحة بئر كان الإمام وافراد اسرته يستخدمونها للاحتياجات اليومية المختلفة .[2] وشهد هذا البيت أحداثًا مهمة ونقاشات وحوارات دينية بين الامام وابنيه وبينه وبين أهالي الكوفة ، ولكن يبقى الحدث الأكثر ايلاما إن الإمام عليه السلام بعد أن هاجمه عبد الرحمن بن ملجم في سنة 40 للهجرة في محراب المسجد ، نُقل إلى البيت ليمضي ثلاثة أيام يعاني من آثار جرح خنجر بن ملجم المسموم وليسلم روحه الطاهرة . وحولت إحدى غرف البيت إلى مغتسل لجثمانه الطاهر.[3] ولعل الأهمية التاريخية التي يكتسبها البيت و أثره التاريخي البالغ هو ما جعل الروائي يوظفه في الرواية .

- **المسجد :** وهو من الأماكن المهمة التي وظفها الروائي في الرواية في قوله : " وقد فتح باب في بعض جوانب المسجد دخل منه رجال في أيديهم السياط يزجرون الناس . فقال سعيد : " من هؤلاء؟ " . فقال عبد الله : " أنهم الشرطة يفسحون الطريق للأمير " . ولم يكد عبد الله يتم كلامه حتى دخل رجل ربعة قصير القامة وافر الهامة أدعج أبلج ... فعرفا أنه عمرو بن العاص ...قال : " يا معشر الناس ، إياكم وخلالا أربعا فأنها تدعو

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 87 .

(2). https : \\ www. Haydarya.com مكتبة الروضة الحيدرية ، بيت الإمام علي عليه

(3) في الكوفة ، بيت الإمام علي سجل للتاريخ : نرمين المفتي ، الكوفة العراق ، الاثنين ، 6 \ 5 \ 2002، https://middle-east-online.com .

إلى النصب بعد الراحة و إلى الضيق بعد السعة و إلى الذلة بعد العزة . إياكم و كثرة العيال ، و اخفاض الحال ، و تضييع المال ، والقيل بعد القال في غير درك ولا نوال ... ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال ألا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته ، أقول قولي هذا واستحفظ الله عليكم "[1].

وهذا المشهد الروائي مستل من كتاب " تاريخ عمرو بن العاص " ، وإعادة الروائي صنع هذا المشهد بتغيير الشخصيات فقط ، في الرواية ورد هذا المشهد على لسان سعيد الأموي وعبد الله ، أما في كتاب " تاريخ عمرو بن العاص " ورد عن سعيد بن ميسرة المعافرى قال : " رحتُ أنا ووالدي إلى صلاة الجمعة ، وذلك آخر الشتاء بعد خميس النصارى بأيام يسيرة ، فأطلنا الركوع ، إذ أقبل الرجال بأيديهم السياط يزجرون الناس فذُعرت فقلت : يا أبت من هؤلاء ؟ قال : يا بني هؤلاء الشرط . فأقام المؤذنون الصلاة فقام عمرو بن العاص على المنبر ، فرأيت رجلًا ربعة ، قصير القامة ، وافر الهامة ، أدعج أبلج عليه ثياب موشاة كأن به العقبان تأتلق ، عليه حلة وعمامة وجبة ، فحمد الله و أثنى عليه حمدًا موجزًا ، وصلى على النبي ﷺ ، ووعظ الناس و أمرهم و نهاهم ، فسمعته يحض على الزكاة ، وصلة الأرحام ، ويأمر بالاقتصاد ، وينهى عن الفضول ، وكثرة العيال ، و إخفاض الحال ...فقال : يا معشر الناس إياكم و خلالًا أربعًا ، فإنها تدعو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، و إلى الذلة بعد العزة : إياكم و كثرة العيال ، و إخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقيل بعد القال من غير درك و لا نوال ... فاحمدوا الله - معشر الناس - على ما أولاكم ، فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم ، فإذا يبس العود ، وسخن الماء ، وكثر الذباب ، وحمض اللبن وصوح البقل ، وانقطع الورد من الشجر ، فحي إلى فسطاطكم على بركة الله ؛ و لا يقدمن أحد منكم ذو عيال ، إلا و معه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته ، أقول قولي هذا و أستحفظ الله عليكم "[2].

---

[1] 17 رمضان : جرجي زيدان : 54 – 55 .

[2] تاريخ عمرو بن العاص : د. حسن إبراهيم حسن ، مكتبة مدبولي – القاهرة ، 1996م : 208 – 209 – 210 .

إعادة الروائي إنتاج هذا المشهد متناسقًا مع الرواية ، إذ يجعل القارئ لا يفرق بين المشاهد الحقيقية و المتخيلة وكأنه يحسب دقائق الأمور قبل البدء بالكتابة .

جعل من المسجد مكانًا للنصح والحرص على الاستمساك بسياسة عمرو بن العاص ، وحث الناس على أن يستمتعوا بالحياة من غير إسراف ، وحثهم على تعهد الخيل ، فإنه ربما دلنا على أن عمرًا كان يضمر في نفسه حربًا أخرى ضد الإمام علي .

ب - الأمكنة العامة : تكتسي الأماكن العامة ، أهمية بالغة في الرواية إذ أنها تساعد على " الإمساك بما هو جوهري فيها ؛ أي أنها القيم والدلالات المتصلة بها"[1].

- **المدينة** : " الكوفة مدينة إسلامية ، مصرها سعد بن أبي وقاص أحد كبار الصحابة ، في السنة السابعة عشرة للهجرة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ... وكان بناؤها في أول أمرها بالقصب ، فأصابها حريق فاستأذنوا الخليفة في بنائها باللبن "[2].

وهي من أهم المدن في العراق كما أنها مركز الدين والسياسة في ذلك الوقت وقد تجسدت في الرواية بوصفها تاريخية يبرز دورها عن طريق الأحداث التي جرت فيها .

عن طريق ذلك نلاحظ بأن "جرجي زيدان " ، اعتمد على تقنية الوصف ؛ إذ أبدع بوصف الأمكنة التاريخية فنيا عن طريق قوة التصوير و إضفاء الجانب الفني التخييلي لها ، وجاء ذكرها لتحقيق غاية إعلانية (إخبارية) تزيد من معرفة القارئ بمجريات الحكي و اشتراكه في تحليل أحداث الرواية والقدرة على تأويلها و استخلاص القيم التاريخية ، لذا جاءت فيها معلومات لتلك الأمكنة . و لأن " الكوفة" هي الفضاء العام في الرواية نرى بأن الروائي قد حدد وصفها عن طريق موقعها الجغرافي والتاريخي الدقيق ، ومع هذا لم يخفِ الروائي مشاعره المضطربة عند وصف هذه المدينة بالهدوء المشوب بالحذر والخوف وكأنه يترقب الجريمة التي ستهز هذه المدينة إذ يقول : " ففي ليلة من أوائل السنة الأربعين للهجرة ،

---

(1) التوظيف الفني للتاريخ : سناء شويب : 47 .

(2) 17 رمضان : جرجي زيدان : 7 .

والوقت خريف ، وقد نضج الثمر على نخيله وليس من يقطفه ، فتساقط بعضه على الأرض وليس من يلتقطه . كان القمر بدرًا وقد أطل من وراء الاكام فأرسل ظلال النخيل مستطيلة متقاطعة ، وكان الجو هادئا والسكوت سائدا لبعد المكان عن المدينة وضوضائها ، فلم يكن يسمع غير نقيق الضفادع على شاطئ البحيرة يتخلله صرير الصراصير وقرقرة القر . وربما هب النسيم فأسمعك حفيف سعف النخيل هنيهة ثم أنقطع . ولقد تعجب لوحشة ذلك المكان مع ما تراه من آثار الأنس ودلائل الأبهة "[1]. وصف هنا الروائي أحد أماكن المدينة التي حدث فيها الاجتماع لأجل تنفيذ المؤامرة بالهدوء والسكون والوحشة ، ولعلّ في صورة الليلة الخريفية الكئيبة التي تخيلها الكاتب إلى جنب الثمار الناضجة التي لا تجد يد قاطف ، فضلًا عن الثمار المتساقطة دون أن يعبأ بها أحد ، لعلّ في هذه الصورة تمهيدًا خفيًا للقارئ لوقوع الجريمة من خلال الإيحاء بتفريغ الأمكنة من العيون والايدي التي كان لابد أن تدفع الكيد عن الإمام ، لا سيما وإن الأمكنة الأخرى كانت تعجّ بالناس كالباحة التي تخيّلها الكاتب محيطة ببيت الإمام الذي هو في الأصل بيت متواضع كباقي بيوت الناس من الفقراء والمعوزين! .

- **البستان :** هو فضاء مفتوح تكثر فيه المساحات الخضراء يلجأ إليه الصغار و الكبار على حد السواء للتنزه و الترفيه عن النفس يقول الروائي :

" حتى وصلا إلى باب البستان ودخلا بين النخيل ، ... فظل سعيد يتمشى بين النخيل ، وهو يتشاغل برؤية ظلالها ، و بالاستماع لنقيق الضفادع على شاطئ البحيرة "[2].

العنصر الثاني : الشخصيات

يلتقط الروائي شخصياته من التاريخ فهي شخصيات تاريخية في الجانب التاريخي ، وشخصيات متخيلة موضوعة فنيا في الجانب القصصي من الرواية . فالشخصيات التاريخية ينتزعها الروائي من العصر الإسلامي ، وشخصياته تنتمي إلى طبقات متعددة ما بين الطبقة الحاكمة وما بين الشخصيات التي تنتمي إلى طبقات أقل ، فمن الطبقة العادية نلمح شخصية "

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 7 – 8 .

(2) المصدر نفسه : 13 .

قطام " التي صورها الكاتب في صورة صاحبة المؤامرات والدسائس ، وهي السبب في قتل الإمام علي " عليه السلام " ،فهي القائلة : " أنا أعلم أنه مقتول لا محالة ، فان لم يبق من الرجال من يفعل ذلك فعلته أنا بيدي . أنظري إلى هذه الحلى في معصمي و أذني ، أني لم أنزعها ليس لأني لم أحزن على أبي و أخي ، بل لأني و اثقة من الانتقام لهما ، ومتى أخذت بالثأر فقد أحييت القتيلين فكيف أحزن ؟. أما ما قاله سعيد فمروءة منه ، ولكن الانسان يا خالة عرضة للتردد فلعل سعيدا إذا خرج من عندنا يرى رأيا آخر ، أو يتهيب الأمر فيرجع عن الوعد . فأنا لا أريد أن أقيده بعهد أرى أنه ربما عاد فندم عليه . ولست أقول هذا استهانة بجرأته ومروءته ، و لا استصعابا لقتل علي ، فان قتله من أيسر الأمور ، ولكني أخشى أن يكون تقيد سعيد بهذا العهد على غير رغبته"[1] ونلمح هنا البعد التخييلي الذي يسبغه الروائي على شخصية " قطام " التي دعتها كراهيتها للإمام علي إلى التنازل عن عادات قومها وعن تقاليدهم حينما يموت لهم رجل أو يقتل في حرب أو نزال فإن النساء سوف يتخلين عن زينتهن من الذهب والفضة حزنا على المفقود ولكن قطام هنا تظل محتفظة بزينتها وكأن هذه الزينة والحلي هي النار التي تؤجج فؤادها كلما تناست الرغبة في الانتقام من علي بن أبي طالب " عليه السلام "

و من الطبقة الدنيا نجد شخصيات العبيد يدورون في محور الشخصيات الرئيسية ويأتمرون بأمرهم و الخادم في الرواية شجاع و حكيم و كريم حتى بنفسه يضحي في سبيل سيده ، ولا يخون ، بل لا تحدث نفسه بما يشبه التفكير في الخيانة في أحرج المواقف و اصعبها ،قالت : " أتدري لماذا دعوتك ؟ " قال : " كلا يا مولاتي و لكنني رهين أشارتك " قالت : " أتطيعني يا بلال ؟ " قال : " كيف لا و أنا عبدك و طوع أمرك "[2] .وتمكن الكاتب من تجنب تحوير الحقائق التاريخية ، واستعمال التاريخ من غير أن يحمله أكثر مما يتحمل من ناحية ، ومن ناحية أخرى فأن جعل الشخصية التاريخية ثانوية يعني فسح المجال

---

[1] 17 رمضان : جرجي زيدان : 15 .

[2] المصدر نفسه : 103 .

للشخصية المتخيلة أن تكون هي الرئيسة ، وبهذا لا يمكن أن تعد على الشخصية انفاسها فالمؤلف معها يتصرف بمطلق الحرية[1].

تشتغل الشخصيات في الرواية لفهم الوظيفة الفنية التي تنهض بها لتمثيل تلك الأحداث الدالة على فترة أضحت جزءا من الماضي ، لا بهدف استعادتها كما هي ، و إنما باتخاذ موقف منها من خلال استثمار وسائل و أدوات الفن الروائي . وبما أن هذه الأحداث لا يمكن أن تروى كما حدثت بالفعل ، و إنما كما تقوم بها الشخصيات التي اختلقها الكاتب بغرض التدليل على مرحلة معينة ، فإن هذا التفاوت يتيح للمتخيل التركيز على جوانب معينة من تلك الأحداث والوقائع .[2]

والأحداث لا تتم بالارتداد الكلي إلى الماضي و الانغلاق فيه ، و إنما بإعادة قراءته اعتمادا على الفعالية التخيلية التي تدمج بين الوقائع و الأحداث والشخصيات المكرسة ، وبين مقتضيات الكتابة الروائية بوصفها كتابة تخييلية . وبهذا المعنى تحقق الكتابة الروائية الوعي بالواقع والتاريخ من خلال التفاعل مع الماضي والانخراط في مسعى سبر غوره.

وتكتسب الشخصية هويتها لدى زيدان منذ التقديم الأول لها . فإذا كان التقديم يعني الصفة المطلقة للشخصية دون أن تتغير فهي أذن مسطحة وليست نامية . فالشخصيات التي تحمل صفات مطلقة صورة أخرى من صور التأثر بالتراث الشعبي ، لأن الشخصية في الحكايات الشعبية أما خيرة مطلقا أو شريرة مطلقا أيضا ، وتدخل الصراع بين جانبي الخير و الشر على هذا الاساس . فالخير يبقى كذلك مهما اختلفت الظروف ، والشرير يبقى كذلك . و تصويرهما يتم على هذا الاساس ، ونجد انعكاس ذلك في رسم الشخصيات لدى زيدان .

---

(1) البناء الفني في الرواية التاريخية العربية 1870 – 1939 دراسة فنية مقارنة : خالد سهر محي الساعدي ، رسالة ماجستير مقدمه إلى جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1989 م : 192.

(2) سرديات الأمة تخييل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة : إدريس الخضراوي ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، النشر والتصفيف : 39 ، زنقة علي بن أبي طالب ، دار البيضاء ، 2017 : 110.

فوصفه للبطل " سعيد " : " وكان سعيد حسن الطوية قليل الاختبار ، وبخاصة فيما يتعلق بدهاء العجائز ، ولكنه كان جميل الصورة معجبا بجماله "[1] و البطل الشرير مثلا وصف " لبابة " المتآمرة مع " قطام " في رواية السابع عشر من رمضان لأجل اغتيال الإمام علي " عليه السلام " فقال عنها: " دخلت العجوز تتوكأ على عكازها وقد أحدودب ظهرها ونال منها الكبر فزادها قصرا ولكنها مازالت سريعة الحركة شديدة العصب ، وكانت عمصاء العينين غائرة الفم لخلوه من الأسنان ، مجعدة الخدين غائرتهما "[2] ، وكما يجمع الشرير كل خصائص الشر ، و يجمع الخير كل خصائص الخير تماما كشخصية البطل الخير في الأدب الشعبي ، لأن الأدب الشعبي يجمع خلاصة القيم الاخلاقية و آداب السلوك فيضيفها على أبطال قصصه[3].

ويضفي زيدان على شخصياته النسائية صفات البطولة الرجالية من الشجاعة و الجرأة و الحكمة وحرية الحركة والتصرف ، وغالبًا ما يقمن بما لا يقدر عليه الرجال ومن تلك الشخصيات على سبيل المثال : خولة عندما انقذت سعيد من شرطة عمرو بن العاص وساعدته في الذهاب إلى الكوفة و أخبار الإمام علي بخبر المؤامرة ، " لما ذهب سعيد إلى بيت الغفاري سأل عن صاحبه فقالوا له : أنه خرج منذ الظهر و لم يعد ... و فيما هو في هذه الهواجس و قد طار نومه سمع لغطا في الدار ، ثم علت الضوضاء و ضج الناس فوقف و تسمع فاذا برجال عمرو قد دخلوا المنزل واوغلوا في النهب و آذوا كل من تعرض لهم فأيقن أنهم آتون إلى حجرته ، و سيفتكون به ، فتقلد حسامه و التفت يمينا و شمالا لعله يجد مخرجا ينجو منه فسمع صوتا يناديه من وراء الحجرة فاستأنس بالصوت وعرف أنه صوت خولة ، ولم يكن له سبيل رؤيتها غير نافذة عالية يشرف منها أذا صعد على مرقاة ، فاحتال في الصعود أليها و أطل و كان الظلام حالكا و لكنه رأى شبحا و سمع صوت خولة تقول له :

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 12 .

(2) المصدر نفسه : 9 .

(3) ينظر ، البناء الفني في الرواية التاريخية العربية : خالد سهر محي الساعدي : 195 – 196 – 197 .

" أنهم سيفتكون بكل من في المنزل ، فاليك هذا الخمار و الجلباب فالبسهما و افتح الباب و أخرج ، و سيظنونك امرأة فلا يتعرضون لك " . فمد يده و تناول الخمار والجلباب فارتداهما و هو يرتعش مخافة أن تفاجئه الشرطة قبل خروجه فلم يكن ألا كلمح البصر حتى فتح باب الغرفة و خرج بزي امرأة فرأى الضوضاء على أشدها ، ولم يتعرض له أحد في أبان النهب ، فمشى إلى الشارع وراء البيت فرأى خولة واقفة فلم يتمالك عن الاعجاب بشهامتها و الاقرار بفضلها برغم دهشته و بغتته "[1] .

العنصر الثالث : الحدث الروائي والبنية الزمانية

تعدّ الرواية التاريخية نوعًا من الرواية أولًا ، ونوعًا من التاريخ يأتي بالمقام التالي . وعندما تبلغ الرواية ذروتها التاريخية ، تبدأ بالتحدث عن الأبطال والحوادث والخلفيات التي تسجل في التاريخ[2]، كما في رواية جرجي زيدان ، " 17 رمضان " ، و أنها ترسم حوادث خيالية لخلفيات حقيقية ، ذات تلميحات ، أو شيء أكثر من التلميحات .ونرى في هذه الرواية حوادث كثيرة منقولة بحروفها من كتب التراث. في الصفحات (6 ، 32 ، 33 ، 34 ، 79 ، 80 ، 88 ، 91 ، 92 ، 96) ، مليئة بنصوص منقولة حرفيا . و إذا أحدث فيها تعديل فهو طفيف لا ينبىء عن أي مجهود بذله الكاتب ، كما في حدث قتل قطام قال الروائي : " فقال لها : " اعلمي يا قطام أني قاتلك انتقاما للأمام علي " . قال ذلك و أغز خنجره في عنقها و أسرع فاحتز رأسها و ترك الجثة و لها شخير رن في أذنيه إلى مسافة بعيدة "[3]، وعند مراجعة " بحار الأنوار " للعلامة المجلسي" ورد نفس الحدث لكن بأسلوب آخر إذ ورد في المصدر المذكور : " و أقبلوا إلى قطام الملعونة الفاسقة الفاجرة فقطعوها بالسيف إربًا إربًا ،

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 67 – 68 .

(2) الصيغة والزمن في الرواية : جورج واتسن ، ترجمة ، عباس العويني ، مجلة الأقلام ، تصدرها ، وزارة الثقافة و الاعلام ، دار الشوؤن الثقافية العامة ، بغداد ، العددان ، 11 – 12 ، تشرين الثاني ، كانون الأول : 145 .

(3) 17 رمضان : جرجي زيدان : 144 .

و نهبوا دارها ، ثم أخذوها و أخرجوها إلى ظاهر الكوفة و أحرقوها بالنار ، وعجل الله بروحها إلى النار وغضب الجبار "[1] ، وبهذا يكون الروائي مستوحيًا هذا الحدث من التاريخ ، مع تعديلات متخيلة فغير في المكان فجعل قتل قطام في بستان عندما مشت إلى حافة القناة [2]، و بلال الشخصية الخيالية هو من قام بقتلها ، فالروائي يقول : " أما نحن ، فقد جعلنا حوادث الرواية وسيلة لإلباس التاريخ لباس الطلاوة والفكاهة . فإذا جردت رواياتنا من عبارات الحب و نحوه كانت تاريخا مدققا يصح الاعتماد عليه و الوثوق به والرجوع إليه و إن كنا لا نتطلب الثقة بها إلى هذا الحد و إنما نعرف لها مزية هي تشويق العامة لمطالعة التواريخ باطلاعهم على بعضها على سبيل الفكاهة "[3].

و لأن التاريخ غاية جرجي نجده في الرواية يختار فترة تاريخية طويلة يتصرف فيها كيفما شاء بزيادة أدوار أو أحداث أو شخصيات أو بحذفها ، وذلك ضمن الإطار التاريخي ، لأن الحدث التاريخي يظل دليلا ومنارا يرشده إلى الطريق ، فلا يضل و لا ينسى على الرغم من تنوع الأحداث و الشخصيات ، لا يتغلب الجانب التاريخي على الجانب الروائي .

" وعلى طريقة والتر سكوت يتناول زيدان في رواياته أكثر لحظات التاريخ تأزما و مأساوية ، عندما يكون الشعب ، نتيجة سير الحوادث منقسما إلى معسكرين متعاديين أن صراع هذين المعسكرين هو الديناميكية الأساسية للرواية . فيقدم له هذا لاختيار الحوادث

---

[1] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام : الشيخ محمد باقر المجلسي ، تنقيح ، العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي ، منشورات ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان : 42 \ 298 . وهذا القول يبرر موقف جرجي زيدان ، مما قاله شوقي أبو خليل في كتابة " جرجي زيدان في الميزان " في صفحة 89 " يقتل جرجي قطام ، و تاريخيًا لم يذكر المؤرخون مصيرها ، وهذا يعني أنها انهت حياتها كأي فرد في الأمة ، ولو وجد في حياتها ما يخالف ذلك لذكر ، لأنه ملفت للنظر ".. علمًا أن تاريخ تأليف كتاب بحار الأنوار : بين 1616 و 1698م ، وكتاب شوقي أبو خليل في تاريخ : 1981م وهذا يعني أن قتل قطام ذُكر من قبل.

[2] 17 رمضان : جرجي زيدان : 143 .

[3] مجلة الهلال : جرجي زيدان ، السنة السابعة 15 مايو 1899 : 16 \ 492 .

المتنوعة و الشخصيات المختلفة مما يساعده كثيرا ويسهل له مهمته في الجانب الروائي لعمله "[1].

والعقدة الغرامية في الرواية تحرك الأحداث التاريخية لذلك اعتمد الكاتب في رواياته على عنصر المصادفة و المفاجأة و المبالغة . يقول محمد زغلول سلام : " إن بعض الكتاب يعتمد كي يشد القارئ للقصة إلى أن يفتعل الأحداث و أن يدخل عليها عناصر غير طبيعية لزيادة المفاجأة و الإغراب ، و تضخيم الحدث ، مثل تدخل الجن و المردة في قصص ألف ليلة و ليلة ، والقضاء و القدر و المصادفات في كثير من قصصنا الحديث ، و المناسب أن تسير الأحداث طبيعية أو كالطبيعية "[2]. نلمح عنصر الصدفة في الرواية عندما أنقذ سعيد خولة من البيت الذي سجنها فيه والدها " فهز الباب بيده هزا عنيفا كأنه يفتحه بالعنف فلم ينفتح و لم يعد يستطيع صبرا فقال بصوت خافت : " هل في المنزل أحد يفتح الباب .. أني غريب ضللت الطريق !.." فأجابه الصوت من الداخل : " ليس في البيت سواي .. و الباب مقفل لا سبيل إلى فتحه " فازداد سعيد دهشة و استغرابا و قال : " من أنت أيها المتكلم ؟ أني أراك في ضيق فهل سبيل إلى انقاذك ؟ " فأجابه الصوت : " يا حبذا أذا استطعته أني حبيسة . من أنت ؟ " قال : " قلت لك أني غريب ضللت الطريق ، أريني وجهك و ارشديني إلى وسيلة افتح بها الباب " قالت : " عالج الأقفال بالعنف لعلك تستطيع فتحها فتنقذني ، وربما انقذت الوفا من الناس معي " ثارت الحمية في رأسه و استل خنجره و جعل يعالج الأقفال وهي تساعده من الداخل حتى فتح الباب فبرزت منه فتاة محلولة الشعر عليها رداء أهل الفسطاط "[3] .هكذا رأينا جرجي يلجأ إلى الصدفة لتعينه على ربط المواقف أو حل العقدة .

---

(1) البناء الفني في الرواية التاريخية العربية : خالد سهر محي الساعدي : 192 .

(2) دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها ، اتجاهاتها ، أعلامها : محمد زغلول سلام ، الناشر ، المعارف ، الاسكندرية ، د. ت : 12 .

(3) 17 رمضان : جرجي زيدان : 59 – 60 .

أما الزمن الروائي و لا نقصد به الزمن الواقعي الذي تستند عليه الرواية ، ولا الزمن الروائي المقترن بالراهن – زمن كتابة الرواية – و إنما كيفية تعامل الروائي مع منظور الزمن (- الماضي – الحاضر ، المستقبل -) في عمله ، وهل طرحه لنا في تسلسله التاريخي المعروف – أم أنه اجرى تغييرات في شكل هذا الطرح .[1] حاول الروائي قدر الامكان أن يجعل الرواية قريبة من الواقع .

العنصر الرابع : الحوار الروائي

يؤدي الحوار " وظيفة مهمة في التعريف بالشخصية وعن طريقة تتراءى للقارئ ملامح الشخصية و دورها . فإذا كانت إحدى الوظائف التي يمكن للحوار أن يؤديها فعلا ، كما عرفنا هي رسم الشخصيات ، وإذا ما كنا نريد أن نحقق الإقناع لدى القارئ بالقصص أو الروايات التي نكتبها ، و بأن ما يجري فيها إنما يجري في الحياة وليس شرطا أن تكون حياتنا بالطبع ، و لكن الحياة التي نفترضها و بمنطقها هي ، فإننا نحتاج إلى أن نرى شخصياتها و نحسها و نألفها "[2].

تفرض المشاهد الحوارية نفسها بحضور القوي ، كونها تعمل على كسر رتابة السرد ، و تعمل على إقحام الواقع التخيلي ، الذي يمثل منفذ الروائي في ترتيب رؤيته و مساءلة المسلمات التاريخية ، التي تسربت في الذاكرة الشعبية . و تتجلى هذه التقنية عن طريق الحوار القائم بين الشخصيات و من أمثلة ذلك ، نجد الحوار الحقيقي الذي جرى بين الخوارج والرجل الذي قتلوه وقتلوا امرأته .

" وليس فشلهم بالدليل الوحيد على سوء نياتهم ، ولكنني اتلو عليك حكاية سمعتها من رجل أثق بصدق روايته هي أن الخوارج عند أول خروجهم على علي بعد رجوعهم من صفين ، نزلوا عند النهروان فرأوا رجلا يسوق حمارا عليه امرأة ، فدعوه فانتهروه فأفزعوه و قالوا

---

(1) العاشق : البطل النموذج : عبد الله رضوان ، مجلة الأقلام : 157 .

(2) الحوار في البنية السردية لرواية " ثقوب زرقاء " للخير شوار : حمدي الربح ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس ، جامعة أكلي محند اولحاج – البويرة ، كلية الآداب واللغات ، 2014 – 2015 : 31.

لـه : (مـن أنـت ؟) . قـال : أنـا عبـد الله بـن خبـاب صـاحب رسـول الله (ﷺ) . فقـالوا لـه : أفزعنـاك ؟ . قـال : نعـم . قـالوا لا روع عليك حدثنا عن أبيك حديثا سمعه من رسول الله . فحدثهم بحديث (أنه تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا) . قالوا ما لهذا الحديث سألناك فما تقول في أبي بكر و عمرو . فأثنى عليهما خيرا . قالوا : فما تقول في عثمان في أول خلافته و في آخرها . قال أنه محق في أولها و في آخرها . قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم و بعده قال أنه أعلم بالله منكم و أشد توقيا على دينه و أنفذ بصيرة . فقالوا : أنك تتبع الهوى و توالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحدا . فأخذوه و كتفوه ثم اقبلوا به وبامرأته و هي حبلى ، حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فتركها في فيه ، فقال آخر : أخذتها بغير حلها و بغير ثمن فألقاها ، ثم مر بهم خنزير لأهل الذمة فضربه أحدهم بسيفه فقالوا هذا فساد في الأرض ، فلقى صاحب الخنزير فأرضاه . فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى فما على منكم من بأس أني مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثا و لقد أمنتموني و قلتم لا روع عليك . فأضجعوه فذبحوه فسال دمه في الماء و أقبلوا إلى المرأة فقالت : أني امرأة ألا تتقون الله ؟ . فبقروا بطنها . هذه أعمال أعداء علي وهذا هو علي فكيف تنقم عليه وكيف تقتله أو تسعى في قتله ؟ بل كيف نسكت عن قتله و لا تدفع عنه ؟"[1].

ونلاحظ من خلال ذلك مدى التزام جرجي بالمادة التاريخية ونقلها كما ذكرتها المصادر التاريخية ، مع تغيير في الاشخاص الذين رووا هذه القضية ، إذ وردت هذه القضية على لسان أبي رحاب في الرواية لتناسب العمل الروائي .

ومن الحوارات التخيلية التي وردت في الرواية ، الحوار الذي حدث في مجلس عمرو بن العاص ، بين قطام و خولة و عمرو بن العاص ، وهو بالتأكيد خيالي لأن كما ذكرنا سابقًا

---

[1] 17 رمضان : جرجي زيدان : 29 ، الكامل لابن الأثير : 3 \ 341 ، و أورد القضية بكاملها : الطبري في تاريخه : 5 \ 81 – 82 .

أن قطام قُتلت في الكوفة بعد اغتيال الإمام علي كما ورد في بحار الأنوار ، وبهذا لم تذهب قطام إلى مصر بعد هذه الحادثة ، ويجري هذا الحوار .

" فقال عمرو : " ما بالك يا خولة لا تدافعين عن نفسك ؟. أليس ما قالته قطام عنك صحيحا ؟ هل كنت عالمة بخبر المؤامرة على قتلي ؟

قالت : " نعم "

قال : " و هل عاونت سعيدا على انقاذ الامام علي ، فأرسلت معه خادمك و جمليك؟"

قالت : " نعم كل ذلك صحيح "

فتعجب عمرو و سائر الحاضرين من صراحة اقرارها ، و قد كانوا يتوقعون أنكارها أو تلعثمها أو سكوتها . فلما رآها تجيب بهذه الصراحة قال لها : " وكيف تظهرين الغيرة على صاحب الكوفة (علي) مع علمك أن أباك لا يريد ذلك ، ثم لا يخطر ببالك أن تخبري أباك بالمؤامرة على قتلي لكي يطلعني عليها ؟. ألا تعلمين أن عملك هذا يعد خيانة تستوجبين عليها القتل ؟. و ها أنى لا أزال أطيل لك حبل الدفاع لأسمع كل أقوالك ، فأخبريني كيف تكونين على غير ما يريده أبوك و أمير البلاد ؟ وكيف تسعين في انقاذ علي بن أبي طالب و لا تسعين في انقاذ أمير مصر؟" وقبل أن تهم خولة بالجواب اعترضتها قطام قائلة : " أرى مولاي الأمير يتعب نفسه بما لا طائل تحته . هل بعد اقرارها الصريح شيء ؟. و هل لهذه الخائنة من دواء ألا القتل ؟ "

قالت خولة وهي تنظر إلى قطام شزرا : " سوف يتضح من هي الخائنة ، وقد كان يجدر بك التأدب في حضرة الأمير ، فأنه أعلم منك بقواعد الحكم "

ثم وجهت خولة خطابها إلى عمرو و قالت : " أرجو من الأمير أن يطلق للساني الحرية لأقول كل ما يجول في خاطري " قال : " قولي ما بدا لك " قالت : " أما سبب مخالفتي أبي في رأيه و تحزبي للإمام علي ، فلأني صادقة مخلصة في فكري و قولي ، و هو المنحرف المتقلب . و ما كنت لأصف أبي بهذا العيب لو لم يضطرني إلى ذلك "

قال عمرو : " و ما معنى هذا ؟ "

قالت " يعلم مولاي الأمير أن أبي ربى في نعمة الإمام علي ، و أنا في حجره ، مع ايماننا بأنه ابن عم الرسول (صلعم) و أنه على الحق في أعماله " . فأراد أبوها أن يقطع حديثها ، فاعترضه عمرو و ألزمه السكوت فقالت : " فلما كانت وقعة صفين كان أبي في جملة من خالفه من الخوارج في أمر التحكيم . فهو الذي انحرف عنه . أما أنا فضللت على رأيي و لا أزال عليه إلى اليوم "

فقال عمرو وهو معجب بشجاعتها : " و لكن عليا شارك الجهال في قتل الخليفة عثمان ، فقتلوه ظلما و نحن أنما قمنا نطالب بدمه "

قالت : " أما مقتل عثمان فأرجو من مولاي الأمير ألا يلجئني إلى الخوض في شأنه، لأني ربما اضطررت إلى ما اتجنب ذكره "

قال : " و ما الذي يخيفك بعد ما ابديته من الجرأة "

قالت : " يخيفني غضب الأمير لأمر يعلمه "

قال : قولي كل ما يبدو لك و لا تخافي "

قالت : " أما مقتل الخليفة عثمان فلا أظن مولاي عمرا ألا من الراضين به " فبغت عمرو و قال : " كيف تقولين ذلك يا خولة ؟ "

قالت : " ألم يكن مولاي في جملة المحاصرين لعثمان ؟ ألم تقل له : (قد ركبت يا عثمان أمورا ركبناها معك ، تب يا عثمان و أرجع إلى الله) . فأسمعك هو كلاما جارحا . ثم لما قال لك : (أني تائب) . قلت له : (رأيناك تتوب ثم تعود) .." قال : " و هل يؤخذ من ذلك أني كنت أريد قتله ؟ "

قالت : " كلا و لكنه يدل على أنك كنت ناقما عليه ؟ "

قال : " أنما كنت ناقما عليه ليرجع من أعماله و يبقى على خلافته "

قالت : " لو كان هذا قصدك فقط لما فرحت بقتله " فذهل عمرو من سعة اطلاعها على خفايا الأمور فسألها : " وما دليلك على ذلك ؟ " قالت : " دليلي قريب إذا أمنني الأمير قلته " قال : " قولي " قالت : " ألم تكن في فلسطين يوم قتل عثمان ؟ فكنت اذا لقيت أحدا حرضته على قتله ؟ ألم تحرض عليا و طلحة والزبير عليه ؟. ثم لما جاءك رجل أخبرك بمقتل عثمان ، ألم تقل : (أنا عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها).. ؟ " ... فاذا بقطام تقول : " أني لأعجب من حلم الأمير ، وما يرجوه من دفاعها عن ذنب اعترفت به صريحا "[1].

هذا الحوار الطويل دار بين قوتين الخير والشر ، قوة تدافع عن الأمام علي (عليه السلام) ولا تأبى من المقابل مهما كانت سلطته فولائها خالص ، وقوة تريد الانتقام وبالتالي ينتصر الخير على الشر ، وتضمن هذا الحوار موقف عمرو بن العاص من عثمان بن عفان ، وأنه كان من الناقمين عليه.

وحوار سعيد مع قنبر حاجب الامام علي ، و اعترضه سائلا : " من القادم ؟ " فقال سعيد و هو يتلجلج : " أني رسول إلى الإمام علي ، ومن أنت ؟ " ، قال : " أنا قنبر حاجب الإمام . ومن أنت ؟ " ، قال : " أني سعيد الاموي ، أريد مقابلة الإمام علي " ، فصاح قنبر قائلا : " أأنت سعيد ؟ تعال معي "

فسر سعيد لإجابة طلبه توا ، ومشى في أثر قنبر حتى دخلا باب الدار و توجها إلى حجرة فيها مصباح ، فدخل قنبر أولا و ايقظ رجلين نائمين هناك ، فلم يكد يدخل الحجرة حتى اطبق عليه الرجلان و قيدا يديه ورجليه وهو واقف لا يبدي حراكا من هول المفاجأة ، ولما عاد أليه وعيه قال لقنبر : " ماذا تصنعون بي ، و ما هذه الوقاحة ؟ أين الإمام علي ؟ " ، فإجابة قائلا : " لقد خاب فألك أيها الوغد اللئيم ، أنك لن ترى عليا حتى ترى الموت قبله "[2]

العنصر الخامس : الوصف

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 133 – 134 – 135 – 136 - 137

(2) 17 رمضان : جرجي زيدان : 89 – 90 .

كان اهتمام زيدان بالوصف يفوق اهتمامه بالحوار ، فقد استوعب الوصف لديه طاقات السرد الممكنة ، فوصف الشخصيات و الملابس و المدن و القصور و الطبيعة ، وكان وصفه دقيق

فهو يصف الشخصية حال ظهورها في مسرح القصة ، فيوقف زمن القصة في هذا الوصف ، ويصف المدينة و يسهب في وصف الشخصيات التاريخية و المتخيلة من خلفاء وشخصيات اجنبية و نساء وتابعين .

فهو يصف مثلًا مدينة الكوفة " الكوفة مدينة إسلامية ، مصرها سعد بن بي وقاص أحد كبار الصحابة ... و كان بناؤها في أول أمرها بالقصب ... وقد زاد عمران الكوفة حين اتخذها الامام علي مقرا له بعد وقعة الجمل سنة 36 للهجرة أذ تقاطر أليها المسلمون من جميع الأنحاء ، و تكاثرت فيها الأبنية و عمرت الأسواق و أنشئت حولها الحدائق و البساتين مما يلي بحيراتها و كان في ضاحية الكوفة على شاطئ البحيرة حديقة من نخيل ، حولها سور من جذوع النخل يحيط بها الا من جهة البحيرة "[1] .وكذلك وصف (عين شمس) بقوله: " فاذا هي مؤلفة من اطلال ليس فيها من الابنية الا الجدران والاعمدة ،فطاف بين خرائبها فلم ير احدا ولاسمع صوتا، وقضى في ذلك ساعتين يتردد بين تلك الجدران ثم يعود إلى حيث بدا فلم ير أثرا للآدميين " ووصفه لهذا المكان بعدم وجود الجدران والاعمدة والطوف بين خرائب هذا المكان دلالة على وجود الناس المضطهدين والمحاربين من قبل السلطة أو الحكم في ذلك الوقت واللجوء إلى هذا المكان للحفاظ على عقيدتهم وإيمانهم .

ويصف كذلك طبيعة البيوت في المدينة ، " و في وسط الحديقة بيت مبني من اللبن ، يدل جمال بنائه على أن سكانه من أهل اليسار ، وقد يخيل أليك أذا دخلت حديقته أنه مسكن بعض الأمراء ذوي الخدم والحشم ، لما يرى بين نخيلها من آثار المعالف و الأوتاد و السلاسل و

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 7 .

القيود ، و لتأكل جذوع بعض النخيل من كثرة شد الأمراس أليها و تعود الخيل تقشيرها و هي مشدودة أليها "[1] .

ومن وصف الشخصيات مثلًا وصف عبد الله بقوله : " كان شابا جميلا مع نباهة و ذكاء "[2] . و وصف أبا رحاب في قوله : " و أخذ أبو رحاب يصلح لحيته و شاربيه و يمسح عينيه . ثم مد يده إلى سعيد فعلم هذا أنه يريد يده فأعطاه أياها ، فأمسكها بيديه فأحس سعيد كأنها أصابع من حديد ليبس أنامله و جفاف جلدها و برودتها ، و شعر برعشة رعشا متواصلا مما انتابه من الضعف الشديد "[3] .

ومن الأمكنة التي وصفها " عين شمس " التي كان يجتمع فيها أنصار الإمام علي ، " و أقبل عبد الله على عين شمس فإذا هي مؤلفة من أطلال ليس فيها من الابنية ألا الجدران و الأعمدة ، فطاف بين خرائبها فلم ير أحد و لا سمع صوتا "[4].

وفي نهاية تحليلنا لعناصر إنتاج المعنى في الرواية المذكورة نجد أنّ جرجي زيدان كاتب لا يبتعد عن الواقع المعيش في روايته وإن كان يستلهم التاريخ فيما يكتب ، وقد سجلنا من خلال الشواهد التي أوردناها اهتمام " جرجي زيدان " بالواقع في تجلياته البسيطة والمباشرة ذات البعد الإنساني الفطري المتسم بالفضيلة وبحّب الخير ، ونبذ الظلم والغدر من أجل خدمة البناء الاجتماعي ، وإصلاح انحرافات المنحرفين الذين مثّلتهم الرواية بنماذج من التاريخ ، فالإمام علي أنموذج الصلاح والتقوى والتواضع الإنساني يقابله أعداؤه والمتربصين به من أرباب الشر والفسق والفجور والغدر ابتداء من معاوية وعمرو بن العاص مرورًا بالخوارج المارقين وانتهاء بسعيد وابن ملجم وقطام التي جسدت رمزًا للفتنة والإغواء وحب الانتقام الذي أوصلها كما سيوصل كل الراغبين في الإفساد بالحياة إلى هذا المصير المأساوي المهين

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 7 – 8 .

(2) المصدر نفسه : 113 .

(3) المصدر نفسه : 22 .

(4) المصدر نفسه : 56.

، ومن هنا يكتسب رهان " جرجي زيدان " على الرواية التي ترتدي لبوس التاريخ ، أو على التاريخ الذي يرتدي لبوس الرواية ، فهو تاريخ الروح العربية الإسلامية الحية بغض النظر عن اختلاف الزمان والمكان وظروف التاريخ والجغرافية ، لا سيما وأن المجتمع العربي كان يعيش أزمة البدايات ، وإعادة الولادة المحتاجة على الدوام إلى المثل والقيم العليا وإلى معرفة ما يقع بالضد منها في الواقع المعيش الذي أسهمت الرواية فيه من خلال الحث على تكريس القيم الفاضلة والتحذير من الأخلاق والقيم الإنسانية الفاسدة .

المبحث الثاني : النص الروائي من حركة الذات إلى حركة التاريخ

تتجلى أهمية الحديث عن خطاب الذات في إمكانية معرفة قدرة الروائيين على خلق شخصيات تستطيع البوح و التعبير عن الروح و النفس البشرية عند الروائي أو الشخصية التي يتبناها الروائي ويسبر أغوارها ، و قبل الخوض في مفهوم الذات وكيفية تجليها في هذه الرواية ، لابد من الوقوف على الأصل اللغوي لكلمة (الذات) و تمثلاتها أو استعمالاتها في التراث العربي القديم ، فقد جاء معنى (الذات) في معجم لسان العرب نجد ابن منظور يقول : " أتيتك ذات عِشاء تدل على ظرف الزمان ووقت العِشاء"[1] فدلالة الذات هنا هي مرتبطة بالوقت .

وفي المعجم الوسيط بمعنى ، " النفس و الشخص و يقال في الأدب نقد ذاتي يرجع إلى آراء الشخص و انفعالاته و هو خلاف الموضوعي "[2] فهي تدل على الإنسان و ما يختلجه من انفعالات وردود شخصية . دون وجود شريك له في نفسه .

وفي الاصطلاح ، فقد ذكرت في معجم المصطلحات أن " صورة الذات في الأدب تجري غالبًا من خلال المتخيل ، فهناك تتراءى الذات معبرة مرات ، أو مشتتة تحتاج إلى إعادة تشكيل و تهذيب ، أو ممتدة في الماضي و ملتصقة بأحداث و صور و مشاعر و ذكرى ، أو مثقلة بروح النقمة و أجواء الموت و الأحلام المطعونة "[3] ، فصورة الذات الداخلية تكون متشبعة بالمتخيلات الماضية و الصورة و المكبوتات المتواجدة في اللاشعور .

---

[1] لسان العرب : ابن منظور : مادة " ذات ". .

[2] معجم الوسيط : إبراهيم مصطفى و آخرون ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة – مصر ، ط3 ، 1989 : مادة " ذات ".

[3] معجم مصطلحات نقد الرواية : لطيف زيتوني ، دار النهار للنشر ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2002 : 118 .

فإبراز الكاتب لذاته في المتن الحكائي يدل على أنه يسرد سيرته الذاتية و يحكي عن حياته الخاصة أو تجاربه الواقعية بهدف تنبيه القراء إلى قضية اجتماعية معينة ، أو الاقتداء بشخصية لأخذ العبرة من تجاربه أو لحصوله على الشهرة لجرأته أو أسلوبه في الكتابة[1]. وتأسيسا على ما تقدم فإنّ الروائي بوصفه كاتبا يحمل ذاتا متفاعلة مع المحيط والجماعة التي ينتمي إليها هو شخص لا يمكن أن يوجد مُستقلًا عن وظيفته التي تتحدد من خلال صيغ الخطاب الذي يستوحيه من خلال تفاعل ذاته مع خطاب العصر ومع مستوى وعيه الثقافي ، مما يجعل من الفن الذي يكتبه الروائي أو نصه الإبداعي " فضاءً للمواجهة والمحاججة ومسرحًا للانفعال والصراع والمقارنة ، وهي سمات تستتبع بالضرورة نسبيّة الحقيقة والأحكام والقدرة على تشخيص الجدلية الكامنة في مشاهد الحياة والسلوكيات "[2]

إن الذات بوصفها موضوعا يشغل الدارسين، لكونها تمثل المستوى الظاهري و العميق للإنسان و المكان الذي يعطي الأوامر ، والذات هي من تحدد ما سيكون عليه هذا الأنسان ، و ينعكس هذا الأمر على الشخص الذي يتحكم بها فيكون كما أراد هو لذاته ، متمردة أو متسلطة أو تائهة ... وغيرها ، وفي هذه الرواية – قيد الدراسة - جسد المؤلف كثيرًا من تمثلات الذات بشكل جلي وواضح ، وقد أبرزت الرواية مجموعة من الصور التي تتماهى من خلالها ذات الكاتب مع ذوات الشخصيات الموجودة داخل الرواية بهدف تنبيه القرّاء إلى فضائل اجتماعية معينة أو بهدف الاقتداء بشخصية ما من شخصياته أو بغية التنفير من سلوكيات شخصية ما وأخذ العبرة من تجارب هذه الذوات المختلفة التي امتزجت بذات الكاتب وعبرت عن هذا الامتزاج لغته التي كتب فيها ، ومن هذه الصور المتنوعة الآتي :

---

(1) حضور الذات في رواية يوميات مطلقة : بوزيد إلهام ، قبايلي فطيمة الزهراء ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي ، جامعة العربي بن مهيدي ، 2018 م – 2019 م : 6

(2) الذات في السرد الروائي ، قراءة في 40 رواية : محمد برادة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2014م: 3

أ ــ الذات المنتقمة :

وردت هذه الذات كثيرًا في الرواية ، فالرواية اساسًا تتحدث عن ليلة اغتيال الإمام علي " عليه السلام " ، وكيف اتفق الخوارج على الانتقام من الإمام علي ، ومنهم قطام التي فعلت المكائد والدسائس لأجل الانتقام وأخذ الثأر لأبيها وأخيها المقتولين في معركة النهروان ، فجاءت هذه الذات طاغية في الرواية من بدايتها إلى نهايتها ، وسوف نتتبع مراحل رغبة الانتقام التي وردت في الرواية من خلال استعراض مقاطع من الرواية المعبرة عن ذات قطام الشريرة وعن الذوات الأخرى الشريرة التي زخرت بها الرواية منها قوله : " وكان الخوارج ما زالوا في بدء أمرهم . فأخذ علي يتجهز لحرب معاوية . وفيما هو في ذلك جاءه الخبر بتألب الخوارج وتمردهم ، فنصح لهم بالطاعة وبين لهم أنه لم يخطئ بقبول التحكيم وأنه لم يقبله ألا اجابة لطلبهم ، ولكنهم لم يرتدعوا . فرأى أن يستأصل شأفتهم قبل خروجه إلى معاوية ، فحاربهم في مواقع عدة أشهرها موقعة النهروان وراء دجلة بالقرب من بغداد ، وقد انتصر فيها عليهم نصرا مبينا وشتت شملهم ، على أنهم عادوا إلى الاجتماع في الخفاء "[1] بين هنا موقف الخوارج واتفاقهم على الخروج على الإمام علي " عليه السلام " لرفضهم التحكيم بعد أن عرضوه عليه ، وطمعوا به لأنفسهم ، فحاربهم الإمام علي " عليه السلام " في مواقع عدة أشهرها موقعة النهروان وانتصر فيها عليهم ، وعلى أثر هذه الواقعة قُتل أبو قطام وأخوها التي هي الأُخرى نقمت على الإمام علي ودبرت المكائد لأجل الانتقام منه فورد في الرواية على لسان قطام تقول : " أريد أن أثأر لأبي وأخي اللذين قتلهما علي ظلما ، ولا بد لي من الانتقام "[2] ، فاتفقت مع ابن ملجم لأجل الانتقام فقالت له : " أن مهري هو قتل علي بن أبي طالب قاتل أبي وأخي "[3] ولكنها لم تنجُ من فعلتها هذه بل أدى انتقامها إلى الانتقام منها على يد بلال فقال

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 6 .

(2) المصدر نفسه : 10 .

(3) المصدر نفسه : 80 .

لها : " اعلمي يا قطام أني قاتلك انتقاما للأمام علي " قال ذلك وأغرز خنجره في عنقها وأسرع فاحتز رأسها وترك الجثة ولها شخير رن في أذنيه إلى مسافة بعيدة "[1].

فهذه الرغبة الشديدة في الانتقام التي ظهرت في الرواية عبر مجموعة من الذوات المختلفين هي تعبير عن وجهة نظر الروائي " الذات المبدعة " عما يجري من حولها من تجارب تاريخية أراد أن ينقل المغزى منها لقارئه .

ب - الذات الحزينة :

صورت لنا هذه الذات واقع الألم و الحزن والخوف والقلق على حياة الإمام علي (عليه السلام) فخوف أبي رحاب على الإمام علي " عليه السلام " عندما علم بخبر المؤامرة المحبكة ضد الإمام أجاب بخوف ورهبة على حياة الإمام فقال : " لا لا . لا يا سعيد ... لا تقتلوا البريء "[2]. تكرر النهي هنا اربع مرات وهذا دلالة على عظم الحدث المنهي عنه ، إذ وجه الروائي على لسان أبي رحاب معنى النهي ، نحو الإنذار ، والتحذير ؛ فالقتل هو أعظم محذور . وقال في موضع آخر ، " فعلا صوت قنبر بالبكاء و قال : " لقد نفذ السهم يا سعيد ، أنهم فتكوا بأمير المؤمنين "[3]

يتضح مما سبق أن الحزن كان طاغيًا على ذات الكاتب و كأنه معايش للأحداث والوقائع التي جرت و هذا ما أدى إلى تشكل الذات الحزينة التي برزت بسبب الفواجع ، و خيبة الأمل فقال على لسان أبي رحاب : " إذا شئت يا ولدي أن يفارق جدك الدنيا آمنا مطمئنا فعاهده بأن تعمل بما أوصاك . لا تبغ سوءا للإمام علي وإذا رأيت سبيلا للدفاع فادفع عنه بكل قوتك . هل تعاهدني على ذلك ؟.. عاهدني عليه . واجبر قلبي وأذكر أني جدك وكافلك ووصيك وأني ربيتك وتعهدتك وأني لا أريد لك ألا الخير . هل تعاهدني على ذلك ؟ قل نعم

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 144 .

(2) المصدر نفسه : 23 .

(3) المصدر نفسه : 94 .

واجبر قلبي أني قلق عليك .."[1]. فذكر الجبر مرتين ، والجبر يأتي من بعد انكسار وحزن دام وقتًا طويلًا في الغالب .

ج - الذات المتصارعة مع نفسها :

إن الذات في صراع مع نفسها تارة تكون ثابتة متزنة تواكب الوضع الراهن و تارة أخرى تصبح غير مدركة فتبقى في ضياع تبحث عن وجودها وكيف تتخلص من الخوف وعدم الاستقرار ، و قد ينتج عن ذلك تمزيق لوحدة الأنا ، إذ حينما تأخذ بالمقاومة تنفصل هذه المشاعر بعضها عن بعض ، الذات تكون ثابتة في حين يسبب صراعها مع وقائعها و الأوضاع السائدة تشعر أنها في ضياع[2].

وقد ورد في إحدى صفحات الرواية على لسان الراوي " فلما جاءه العبد يدعوه أليها خفق قلبه و هرول مسرعا يتعثر بأذياله فاخترق أسواق الكوفة و هو لا يرى شيئا مما فيها لاضطرابه و تهيبه اجتماعه بقطام منى قلبه و غاية مرامة ، فكان أذا تصور رضاءها أشرق وجهه و طار فرحا . ثم يعترض تصوره ما آنسه في حديث العجوز من أن الفتاة تتمنع ، و يتذكر ما بدر منه من الوعد بالانتقام ، فتنقبض نفسه و يضطرب لهول الموقف "[3] ، نلاحظ ذات سعيد هنا ليست مستقرة فتارة تكون ثابتة على ماهي عليه ، وتارة أخرى متغيرة وضائعة ، " وكان سعيد مطرقا و قد تغيرت سحنته و تولته الدهشة حتى ظن نفسه في منام ، وندم على مجيئه لأنه أصبح بعد سماع ذلك الكلام حجرا بين مطرقتين لا يدري أ يقوم بعهده لقطام التي ملكت لبه أم يعمل بوصية جده و هو في آخر أيام الدنيا .

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 30 .

(2) الذات في الرواية العربية النسوية المعاصرة " رواية إكادولي " لحنان لاشين أنموذجا : أحلام عيساني ، سمية عيساني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي ، كلية الآداب و اللغات ، 2021 – 2022 م : 44.

(3) 17 رمضان : جرجي زيدان : 13 .

فظل صامتا لا يبدي حراكا"[1]. على الرغم من الضياع ، وجب على الذات أن تثبت و تستقيم ، لأن الذات لا يمكن أن تعيش دائما باضطراب " فبغت سعيد و بدأت الغشاوة تنحسر عن عينيه ، وتذكر ما قصته عليه خولة من حديث عبدها مع عبد آخر وشى بهما إلى ابن العاص . و أنه استغرب يومئذ أن يصل خبر قدومهما إلى الفسطاط و هما أنما قدما سرا لا يعلم بهما أحد غير قطام و لبابة و هذا العبد . فوضح له أن ريحان لا يأتي الفسطاط الا بإيعاز من سيدته ، وتذكر ما كان يراه في ابن عمه عبد الله من الشك في قول قطام ، فندم على استسلامه لها و عض على سبابته ، وظل واقفا لا يبدي حراكا ، و بلال واقف بين يديه صامتا . ثم التفت إلى بلال و قال : " ألا بارك الله في خولة ، أنها و الله ملاك بعثه الله من السماء لكشف تلك الخديعة . ولكن وا اسفاه ، فقد نفذت حيلة قطام في عبد الله فمات غريقا . على أنها لن تنفذ في الامام علي بعد أن أفتضح أمرها قبل دنو الأجل المضروب و الحمد لله "[2]، وهنا أصبحت ذات سعيد أكثر ثباتًا من السابق عندما كشفت حقيقة الأمور .

عن طريق النماذج المتقدّمة تتضح صورة الذات المتصارعة مع نفسها ، فالبطل سعيد في بداية الرواية في ضياع بين أن يختار الفتاة التي أحبها وكان شرطها قتل الإمام علي " عليه السلام " مهرا لزواجها منه وبين تنفيذ وصية جده بالدفاع عن الإمام علي ، لكن على الرغم من هذا الضياع وجب على الذات التثبت والاستقرار عن طريق ظهور فتاة في الرواية – خولة - هي من كشفت حقيقة قطام أمام سعيد ، فساعدت الذات على الاستقرار وجعل هدفها الأول هو الدفاع عن الإمام .

المتصفح لهذه الرواية ، تتضح له صور ذوات شخوصها ، فتارة تكون هادئة مطمئنة ، و أحيانا تكون تائهة و ضائعة ، وهذه كأنها تمثلات أحس بها الكاتب ، و أراد أن يوصلها

---

[1] 17 رمضان : جرجي زيدان : 27 .

[2] المصدر نفسه : 85 .

إلى العالم ، ومن يتعمق في هذه الرواية ، يستطيع أن يرى كل هذه الجوانب للذات وجلي مرة أخرى والتي جاءت بشكل خفي أو متستر مرة وبشكل واضح .

ح- الذات المستذكرة:

برز وجود الأب في رواية زيدان ، ولم يكن هنالك وجود للأم ، إذ حرمت الشخصيات من الأم والتعويض عنها بالمربية أو الخادم الخاص ، ومُثّلَ دور الأب القاسي في الرواية ، " و كان أبي يظنني على دعوته . ففي ذات يوم جاءنا ذلك المرادي يخطبني من أبي فقبل ، و أما أنا فلم أجب خوفا من اكراهي على الزواج ، و صممت على الفرار أذا حملني أبي عليه كرها ، و ما زلت أماطل في عقد القران إلى الآن "[1] وقال في موضع آخر " فأطرق برهة ثم اقترب من خولة و جذبها بيدها إلى وسط القاعة و قال لها : " لقد انكشف لي القناع الآن و علمت سبب سفر بلال ، فقد أرسلته مع حبيبك ليساعده على انقاذ أبي تراب (علي بن أبي طالب) . و قلت لي : (أنه فر بالجملين) . و الواقع أنه أخذهما معه ليركب هو ورفيقه " . ثم التفت إلى عمرو و قال : " أن أبنتي يا سيدي تستحق القتل ، فاقتلها أو دعني أقتلها بين يديك "[2] ، فيمثل الأب كأنموذج للأب الشرقي في الرواية ، وهي صورة مطابقة تماما لما كان عليه زيدان في علاقته بأمه و أبيه كما ظهر ذلك في مذكراته.[3]

استخدام الكاتب لمجموعة من الدلالات التي تفضي بتعدد الذوات في الرواية جاء بهدف منه لنقل تجربة شخصية ذاتية بما ينتاب الإنسان من ألم و حزن و فراق و محبة ، لكن الملاحظ أنه ركز في روايته على الذات المنتقمة على ما جرى من أحداث فقال على لسان لبابة: " لا تقلق يا ولدي ، ليس هناك ما يدعو إلى القلق . غير أني مللت من استعطاف هذه

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 62 .

(2) المصدر نفسه : 133 .

(3) نقلًا عن ، البناء الفني في الرواية التاريخية العربية : خالد سهر محي الساعدي : 200 .

الفتاة وترغيبها وتشويقها ، فلم أر منها ألا البكاء والنحيب ولم أسمع ألا قولها : (الانتقام الانتقام) . وكل من يخاطبها في غير هذا الموضوع لا يسمع جوابا "

قال : " ألم تذكري لها شيئا من حديثي معك ؟ "

قالت : " كيف لا ، أنني لو لم أذكر لها اسمك مشفوعا بوعدك بالانتقام لما أجابتني " ثم أدنت فمها من أذنه وقالت : " ولكنني آنست من خلال تمنعها أنها ترتاح إلى ذكر اسمك ، وأظنها تحبك ولكنها مأخوذة شغلها الانتقام عن الحب ، ولذلك سرت لما أخبرتها بوعدك وأن لم تصدق قولي كأنها تحسبني أعبث بها ، أو لعلها استبعدت ذلك منك أو خشيت رجوعك فيه لجهلها ما أنت مفطور عليه من الحمية وكرم الأخلاق "[1] نلاحظ كيف أغرت لبابة سعيد بالكلام لأجل جعله وسيلة لتنفيذ الانتقام .

وعليه يمكن لنا أن نقول : إن جرجي زيدان في روايته هذه وعلى الرغم من كونها تمثل الريادة الفنية التي لا يمكن أن تظهر بأحسن صورة مهما كان الروائي عبقريًا ؛ فهو – جرجي زيدان – استطاع أن يصل إلى درجة جيدة من استبطان النوازع الذاتية لشخوص روايته ، وأن يصور هذه النوازع في صور شتى حاولنا أن نقدم ملخصًا لها من خلال النماذج المارة .

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 13 – 14 .

الفصل الثالث: اشتغال المتخيل التاريخي في رواية 17 رمضان

المبحث الأول : الحدث التاريخي وتجلياته في رواية 17 رمضان بين الواقعي والتخييلي.

أ-الحدث الواقعي

ب- الحدث المتخييل

المبحث الثاني : الشخصية الروائية بين التاريخ والفن.

أ- الشخصية التاريخية

ب- الشخصية المتخيّلة

المبحث الأول : الحدث التاريخي وتجلياته في رواية 17 رمضان بين الواقعي والتخييلي .

أ – الحدث الواقعي

يرد مصطلح (حدث) في معجم لسان العرب للدلالة على معانٍ متعددة تحيل على الفعل المقترن بأمرٍ ما ، ومما جاء فيه قوله : " حَدَثَ الشيءُ، فإذا قُرِن بقَدُم ضُمَّ، للازْدواج والحُدُوثُ: كونُ شيء لم يكن ، وأَحْدَثَه اللهُ فَحَدَثَ ، وحَدَثَ أَمر أَي وَقَع ومُحْدَثاتُ الأُمور: ما ابتدَعه أَهلُ الأَهْواء من الأَشياء التي كالسَّلَف الصالحُ على غيرها

وفي الحديث: إياكم ومُحْدَثاتِ الأُمور جمعُ مُحْدَثَةٍ بالفتح، وهي ما لم يكن مَعْرُوفًا في كتاب، ولا سُنَّة ولا إجماع"[1].

بمعنى أن الحدث هو كل فعل أقترن بحدوث أمر ما .

ويرتبط نمو الحدث – اصطلاحيا في المدونة الخاصة بنقد السرد – بإطار(الزمان والشخصية والمكان) ، فكل ما تفعله الشخصيات في حدود الزمان والمكان يسمى حدثًا ، ولا تستمر الأحداث بنفس الوتيرة ، لذلك يجب أن تتراوح بين الهبوط والصعود من أجل إخراج القارئ من حالة التكيف التي قدمتها تلك الاستمرارية.

و الأحداث إما أن تكون سابقة للصراع (مسببة له) ، أو لاحقة له (ناتجة عنه) ، أو أثناء الصراع .

ولذلك تعرف د. آمنة يوسف الحدث بقولها : " إن الحدث هو العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية السابقة (الزمن ، المكان ، الشخصيات ، اللغة). والحدث الروائي ليس تمامًا كالحدث الواقعي (في الحياة اليومية) – و إن انطلق أساسًا من الواقع -. ذلك لأن الروائي (الكاتب) ، حين يكتب روايته يختار من الأحداث الحياتية ، ما يراه مناسبًا لكتابة روايته ، كما أنه ينتقي ويحذف ويضيف من مخزونه الثقافي زمن خياله الفني ، ما يجعل من الحدث الروائي ، شيئًا آخر ، لا نجد له ، في واقعنا المعيش ، صورة طبق الأصل . الأمر الذي ينشأ

---

[1] لسان العرب : ابن منظور : مادة حدث .

عنه ظهور عدد من التقنيات السردية المختلفة كالاسترجاع والمونولوج الداخلي ، والمشهد الحواري والقفز..."[1].

ويتضح من هذا القول أن هناك فرقا بين الحدث الروائي والحدث الواقعي ، فلا يمكن للروائي تصوير الحدث الواقعي كما هو في الواقع ، بل يضيف فيه الجانب الإبداعي من مخيلته بالوصف الدقيق ، فقد يضيف حركة الشخصيات والأمكنة والمشهد .

وهكذا يظل الحدث أسلوبًا فنيًا سرديًا يقدمه الروائي ببراعة في صميم النص السردي ، من أجل إغراء و إثارة المتلقي ، الذي يعمل على تذوق جماليات العمل الإبداعي ، الذي تلقاه من مبدعه والحدث في الرواية يتداخل بين وجود حدث تاريخي حقيقي مستوحى من كتب التاريخ ، وحدث روائي متخيل من إبداع الروائي.

ويعد الحدث التاريخي من أهم خصائص ومميزات الرواية التاريخية والتي تقوم على أرضية تاريخية ، أي عن طريق اللعب على وتيرة تصعيد الحقائق ، وخلق نوع من الصراع والتشابك بين الأحداث ، وبالتالي فإن الحدث التاريخي هو : " حدث يراد به ما وقع بالفعل في الزمن الماضي ، لذلك فأبرز سمة تلازمه هي الواقعية وفي ذلك يكمن معناه العميق "[2].فالطابع الذي يكتسي به الحدث التاريخي ، هو الواقعية ؛ حيث أن الروائي وهو يستثمر في هذه الأحداث الواقعية المؤرخة في سجلات تاريخية مميزة بأوقات محددة ، يريد التواصل مع الماضي ومحاكاته والحوار مع التاريخ و أحداثه ، كي يكشف دقائق الحقائق ويحاول أن يرسم الخيوط العريضة للأحداث التي صمت عنها التاريخ . فأن الأحداث الواردة في الرواية تعتمد على التخييل.[3]

---

(1) تقنيات السرد في النظرية والتطبيق : د. آمنة يوسف ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، 2015: 37.

(2) مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث بحث في المرجعيات : جليلة الطريطر ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ط2 ، 2009 : 194.

(3) التوظيف الفني للتاريخ في رواية " فتح الأندلس " ل : جرجي زيدان : سناء شويب ، مذكرة مقدم لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية ، جامعة محمد خضير ، 1436 – 1436 ، 2015 – 2016 : 69.

عن طريق تتبع مسار الأحداث التاريخية ، يحاول الروائي إحياء التراث بعد النفخ في روحه بإحيائه بعنصر الماضي حدث اختفى على الرغم من واقعيته ، فهو غائب بشكل عام ، على الرغم من وجود أدلة يمكنها أن تقوم مقام الشاهد ، أي أن احتمالية أندثار الحدث التاريخي إمكانية محتملة الوقوع بسبب إغفالها من قبل المؤرخين.

تجليات الأحداث التاريخية في رواية السابع عشر من رمضان :

بعد تعرفنا على الحدث التاريخي الذي لعب دورا مهماً في تفعيل وتنشيطها الأحداث التاريخية يتماشى والحاضر، سنحاول دراسة الأحداث التاريخية التي احتفت بها رواية السابع عشر من رمضان على الصعيدين الواقعي والخيالي .

1 – استلهام الحدث التاريخي الواقعي

عمد جرجي زيدان في روايته إلى استحضار بعضا من الأحداث التاريخية الواقعية من أجل أن يلفت القارئ إلى واقعية الأحداث ، ومن الأحداث التاريخية المستلهمة نذكر على سبيل المثال لا الحصر ، ما يأتي :

1- اجتماع الخوارج و مسير علي (عليه السلام) إليهم :

الخوارج هم أولئك الأشخاص الذين خرجوا على علي (عليه السلام) بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين .اجتمعت الخوارج في أربعة آلاف ، فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي ، وهم في الأصل " جماعة من رجال الإمام علي بن أبي طالب نقموا عليه قبوله التحكيم على أثر وقعة صفين ، وكانوا قبل ذلك في مقدمة الذين حرضوه على قبوله "[1]، وقد كان علي انفصل عن الكوفة في خمسة وثلاثين ألفًا ، وأتاه من البصرة ، من قبل ابن عباس – وكان عامله عليها – بعشرة آلاف فيهم الأحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدي ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين ، وكان الإمام علي يتجهز لمحاربة المارقين والقاسطين ، لكن عندما وصل إليه خبرهم ،فسار إليهم ، حتى أتى النهروان ، فأرسل إليهم بالحارث بن مرة العبدي رسولًا يدعوهم إلى الرجوع ، فقتلوه ، وبعثوا إلى علي : إن تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك ، وإن أبيت فاعتزلنا حتى نختار لأنفسنا إمامًا فإنا منك براء ، فبعث إليهم علي ، أن ابعثوا إلي بقتلة

---

[1] 17 رمضان : جرجي زيدان : 6.

إخواني فأقتلهم ثم أتاركم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب ، ولعل الله يقلب قلوبكم ، وعندما أخبره الرسول الذي بعثه إليهم أن القوم لم يستجيبوا له وأنهم كلهم مشتركون بالقتل وأنهم عبروا نهر طبرستان ، وهو يأبى ذلك ويحلف أنهم لم يعبروه ، فقال : " سيروا إلى القوم ، فو الله لا يفلت منهم إلا عشرة ، ولا يقتل منكم إلا عشرة ، فسار علي ... فدعاهم إلى الرجوع والتوبة ، فأبوا ورموا أصحابه ...فقال علي : الله أكبر ، الآن حل قتالهم ، فحاربهم في مواقع عدة أشهرها موقعة النهروان وراء دجلة بالقرب من بغداد فانتصر عليهم . "[1]

وذكر جرجي زيدان الخوارج في الرواية للإشارة إلى الخلافات حول الخلافة والطمع بها، وكيف بدأت المؤامرة لاغتيال الإمام علي (عليه السلام). ويتضح مما سبق أن جرجي زيدان يدخل في روايته النصوص التاريخية بالحرف الواحد ليجعل منه مادة تتحرك في إطارها أحداث روايته (17 رمضان) .

2- حياكة خيوط التآمر لقتل الإمام علي بن أبي طالب " عليه السلام " :

وفي سنة أربعين اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج وهم : عبد الرحمن بن ملجم ، و البرك بن عبد الله التميمي ، وعمرو بن بكر التميمي ، بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا على قتل علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص لينتهي النزاع حول الخلافة و ينجوا المسلمين من أسباب الفتنة ، فقال عبد الرحمن بن ملجم : " فلا تخافا فأني آخذ على عاتقي قتل أكبر هؤلاء الثلاثة و أشجعهم . أنا أقتل عليا بن أبي طالب ، فأن و أن يكون مقامي بالفسطاط فأنى آتى الكوفة فأقتله "[2] . وقال البرك : أنا لكم بمعاوية . وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمروا بن العاص ، فتعاهدوا على ذلك وتعاقدوا عليه ، وتواثقوا أن لا ينكص منهم

---

[1] مروج الذهب ومعادن الجوهر : الإمام أبي الحسن بن علي المسعودي ت 957م ، راجعه ، كمال حسن مرعي ، الدار النموذجية ، ط1 ، 2005 – 1425 م : 2\ 314 – 315 .

[2] 17 رمضان : جرجي زيدان : 33.

رجل عن صاحبه الذي سمى لـه ، ويتوجـه لـه حتـى يقتلـه أو يمـوت دونـه . فاتعدوا بينهم ليلـة سبع عشرة من رمضان ، ثم توجه كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه.[1]

وقد يعتمد الكاتب فـي استحضـار التـاريخ نمـط الاقتـراض كـأن يقوم بـإدراج مقـاطع أو جمـل غير سردية تاريخية بين ثنايا النص الروائي بشكل مباشر على أساس أنهـا أصـلية تابعـة للسـرد بينما هي نصوص مُقترضة غير أصلية يتبناها الروائـي فقط من أجل متابعـة السـرد الروائـي التاريخي وهذا كثير في هذه الرواية - السـابع عشـر مـن رمضـان – نـذكر منهـا – مثلا - هذا المقطع الذي لم ينوه جرجي زيدان إلى أنه مقتبس من كتب التـأريخ : وهو مقطـع يتحـدث عن لقاء ابن ملجم بقطام ، وهما من شخصيات الرواية الرئيسية :

فقال عبد الرحمن : " اطلبي ما تريدين "

فتظاهرت بالتمنع وصبرت هنيهة كأنها تستخف بما اقترحه عليها من الطلب ثم قالت : " أن مهري هو قتل علي بن أبي طالب قاتل أبي و أخي "

فابتسم عبد الرحمن ، ونظر اليها ويده على قبضة سيفه وقال : " أن ذلك وما قالته هذه الخالـة سيكونان لك . ثلاثة آلاف دينار وقتل ابن أبي طالب والعبد والقينة . فان مثلك لا يعز فـي سبيل نيلها مهر . واعلمي أني أنما جئت الكوفة لهذه الغاية . أنظري إلـى هذا السيف (وجـرده فلمـع نصله لمعانا شديدا) أني اشتريته بألف وسممته بألف لأقتل عليا بن أبي طالب "[2] .

وهذا اللقاء له وجود تاريخي وبالأخص فـي كتـاب مـروج الـذهب ومعـادن الجـوهر " فلمـا قـدم الكوفة أتى قطام بنت عمه ، وكان (علي) قد قتل أباها و أخاها يوم النهروان ، وكانـت أجمـل أهل زمنهـا ، فخطبهـا ، فقالـت : أتزوج حتـى تسمي لـي ، قـال : لا تسـأليني شيئًا إلا أعطيتـه ، فقالت : ثلاثة آلاف وعبدًا وقينة ، وقتل علي ، فقال : ما سألت هو لـك مهر إلا قتل علـي ، فـلا

---

(1) أسد الغابة في معرفة الصحابة : للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير ت 555 – 630 ، دار ابن حزم ، ط1 ، 1433 – 2012 م ، 885. المقفى الكبير : تقي الدين المقريزي ت 845 – 1441 ، تحقيق ، محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1411 – 1991 : 4\ 68.

(2) 17 رمضان : جرجي زيدان : 80 .

أراك تدركينه ... فقال : والله ما جاء بي إلى هذا المصر ، وقد كنت هاربًا منه إلا ذلك ، وقد أعطيتك ما سألت ، وخرج من عندها "[1].

3- حدث الرواية الرئيس :

تنبني رواية السابع عشر من رمضان كما نوهنا سابقا على استرجاع الأحداث التي سبقت ليلة الغدر بالإمام ، وهي ليلة السابع عشر من رمضان التي اتخذت الرواية منها عنوانا لها . وتعدّ هذه الحادثة الركيزة الأساس القائمة عليها الرواية ، فهي الحدث الذي خلد في التاريخ الإسلامي ، وترك بصمته في ذاكرتها وهي النقطة التي انطلق منها الروائي محاولًا تصوير جزءا من تاريخ الصراع على السلطة في الإسلام وقد صور جرجي زيدان هذا الحدث بصورة فنية ؛ حيث تداخل التاريخ مع الفن وقد ذكر في البداية الخوارج ، والمؤامرة ، وبعدها انتقل للحديث عن يوم تنفيذ المؤامرة ليلة السابع عشر من رمضان .

أقبل عبد الرحمن بن ملجم ورجل من أشجع يقال له شبيب بن نجدة من الخوارج ومجاشع بن وردان (بن علقمه) إلى المسجد ، وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها علي للمسجد ، وأن عليًا لم ينم تلك الليلة ، وإنه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، و إنها لليلة التي وعدت فيها فلما خرج صاح بط كان للصبيان ، فصاح بهن بعض من في الدار ، فقال علي : ويحك! دعهن فإنهن نوائح ، وكان علي يخرج كل غداة أول الأذان يوقظ الناس للصلاة ، وكان ابن ملجم مر بالأشعث وهو في المسجد ، فقال له فضحك الصبح ، فسمعها حُجر بن عدي ، فقال قتلته يا أعور قتلك الله ،[2] وخرج علي (عليه السلام) ينادي : " أيها الناس الصلاة الصلاة " فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون : " الحكم لله يا علي وليس لك و لأصحابك "[3] ، وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه ، و أما شبيب " تقدم مسرعًا وسيفه بيده فضرب به الإمام عليًا فأصاب عضادة الباب وسقط السيف "[4]، وأما مجاشع بن وردان فهرب . فصاح علي : " فزت ورب الكعبة "[1].

---

[1] مروج الذهب ومعادن الجوهر : الإمام أبي الحسن بن علي المسعودي : 2\ 320 .

[2] ينظر ، مروج الذهب ومعادن الجوهر : الإمام أبي الحسن بن علي المسعودي :2 \321.

[3] رمضان : جرجي زيدان : 92.

[4] المصدر نفسه : 91.

نلحظ أن الروائي لم يسرد الحدث كما جاء في كتب التاريخ ، بل نفخ في روحه باستحضار شخصيات ، وأحداث متخيلة وتناوله بأسلوب فني موجه ، يجعل القارئ يتخذ موقف من فكرة " ليلة السابع عشر من رمضان " ، أما بالنسبة للحقيقة التاريخية التي يود الروائي إظهارها وتوضيحها للقارئ ، والمتلقي ، هو أن تاريخ الحضارة الإسلامية مجيد حافل بأمجاد وبأبطال قاموا وجاهدوا في سبيل الدفاع عن الإمام علي " عليه السلام " ، فضلًا عن ذكر مواقف وشجاعة أمير المؤمنين مع الناس، وكيف تأثروا بقتله وأتوا جماعات لغرض زيارته في بيته أثناء جرحه .

4- قبيل رحيل الإمام :

أوصى إمام المتقين ورائد الحكمة أولاده بجملةٍ من الوصايا الذهبية قبل وفاته ومنها:

دعا أمير المؤمنين الحسن والحسين (عليهما السلام) فقال لهما : " اوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا و أن بعتكما ، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما . وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، واعينا الضائع واصنعا للأخرى ، وكونا للظالم خصيما و للمظلوم ناصرا ، واعملا بما في كتاب الله ، ولا تأخذكما في الله لومة لأئم " [2].

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال : " هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ "

قال : " نعم "

قال : " فأني أوصيك بمثله ، و أوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك ، ولا تقطع أمرا دونهما " . ثم قال لهما : " أوصيكما به فأنه أخوكما وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما يحبه " . وقال للحسن : " أوصيك أي بنى بتقوى الله و إقامة الصلاة لوقتها و ايتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بطهور ، و أوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل ، و التفقه في الدين والتثبت في الأمر ، والتعهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش "[3]

---

[1] المصدر نفسه : 92.

[2] 17 رمضان : جرجي زيدان : 94 ، مروج الذهب ومعادن الجوهر : الإمام أبي الحسن : 2\321.

[3] 17 رمضان : جرجي زيدان : 94 – 95 ، ينظر ، مروج الذهب ومعادن الجوهر : 322 .

ثم تقدم جندب بن عبد الله إلى علي وقال : " أن فقدناك و لا نفقدك فنبايع الحسن "
قال علي : " ما آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر "
" ولما علم الناس أن سيف ابن ملجم مسموم أيقنوا دنو أجل الإمام ، وخافوا الفتنة فيمن يخلفه ، ولكنهم بعد أن سأله جندب بن عبد الله ما سأله عمن يخلفه فأجابه بأنه لا يأمرهم ولا ينهاهم ، لم يسعهم الا تأجيل النظر في الأمر ، ثم نقلوه إلى داره ماشيا وهو يتوكأ على ولديه الحسن والحسين والدم يغشى جبينه وكان السم لم يفعل فعله بعد "[1] .

ومن خلال ما تقدم من الأحداث السابقة في الرواية نلاحظ أنه لا يمكن إخفاء ملامح التاريخ داخل النص الروائي ، لأنه يترك أثره داخل النص ويُعرف بمظاهره . وعندما استحضر الروائي التاريخ ، كانت النصوص مدعومة بالأدلة والاستشهادات التي تعزز موقفه من التاريخ ، إما لتمويه القارئ أو لتوثيق مصدر نصه . جاءت رواية (17 رمضان) غنية بالاقتباسات التي تعيد كتابة التاريخ ، وتعلن وجوده في ثنايا الرواية ، دون الإشارة إلى أنه نص تاريخي بوضعه بين علامتي اقتباس أو تغيير خطه ، وفي أحيان أخرى اعتمد نمط الاقتراض ، مثل إدخال مقاطع أو جمل تاريخية غير سردية مباشرة بين ثنايا النص الروائي على أساس أنها جمل أصلية تنتمي إلى السرد ، في حين أنها ليست أصلية . نصوص مستعارة يتبناها الروائي فقط للتتبع مسار السرد الروائي التاريخي .

ب – الحدث المتخيّل :

تثير علاقة المتخيل بالواقع إشكالية كبيرة في مفهومها ، إذ تعد العلاقة بينهما علاقة جدلية ، بحكم أن المجتمع هو المرجع الرئيسي للخطاب الروائي عن طريق تأثر الأدب بالمجتمع وتأثيره فيه ، لأن الأدب يهتم بالواقع ويتطور بتطوره ، ويعطي المتخيل السردي للرواية خصوصية ليكون هو الوسيلة لإثارة أشياء لم تكن موجودة بواسطة اللغة ، بحيث يصور لنا هذا المتخيل الواقع بصور جديدة فيها إبداع وخلق جديد ، فالمغامرة السردية يتعالق فيها الواقع بالمتخيل الذي يكون منطلق لها ، فالخيال يعتبر المولد الأساس للأدبية بل " إن كل فلذة من الأدب تكتسب أدبيتها بقدر ما تحتل من رقعة الخيال ، فأشكال الأدب . في حقيقة الأمر . أنما

---

[1] 17 رمضان : جرجي زيدان : 92 – 93 .

هي قطع في خيمة التخيل قد تطول أو تقصر ، ترتفع أو تنخفض ، تتجلى في ألوان بهيجة أو باهتة لكنها . كي تصبح أدبا لا بد من تغطية سطح الواقع ..."[1] أي أن كل ما كان النص غني بالخيال يكتسب أدبية أكثر ، وليكون الأدب أدبا لا بد أن يستند إلى الواقع .

ما يميز رواية " جرجي زيدان " هو الحضور القوي للمادة التاريخية التي تعدُّ مرجعًا لها في سرد الأحداث ، وعلى الرغم من التواجد المكثف للمادة التاريخية في الرواية كسرد الأحداث التي وقعت في فترة زمنية محددة ، وعلى الرغم من امتداد سلطة التاريخ على الرواية ، إلا أن الروائي استطاع مزج التاريخ والفن معًا ، إلى الحد الذي لا نلاحظ فيه الفرق بينهما ، ولا نشعر بالحدود التي تفصل بينهما ، ويكون بذلك السرد التاريخي بطريقة فنية .

ومما سبق يمكن القول ، أن الأحداث التاريخية في الرواية قد استلهمها الروائي من كتب التاريخ لكنه أفضل لها جانبا من إبداعه الفني التخيلي ، كما أنه أضاف في الرواية أحداث أخرى من مخيلته ساعدته في بسط تلك الأحداث التاريخية وسهلت لروائي من مهمة عرض الأحداث ومن هذه الأحداث نذكر :

1- علاقة سعيد بقطام :

أخذ هذا الحدث مساحة واسعة في الرواية ، وسار جنبًا إلى جنب الحدث التاريخي ، وقد وظفه الروائي للفت انتباه القارئ لمتابعة باقي مجريات الرواية ، وسعيد شخصية خيالية ليس لها وجود بالحقيقة ، إذ كان هدف قطام من قبول هذا الزواج هو تنفيذ رغبتها بالانتقام من الإمام علي (عليه السلام) عن طريق سعيد الذي استكتبته بذلك صكا يقول فيه " أنا سعيد بن الأموي أعاهد قطام بنت شحنة على قتل علي بن أبي طالب مهرا لزواجي بها ، فاذا لم أفعل لم أكن كفؤا لها ، وعلى عهد الله وميثاقه كتبه سعيد الأموي "[2].

وكأن جرجي زيدان يحاول أن يوصل إلينا من خلال شخصية سعيد بأن الأنسان لن يصل إلى هدفه دون جهد وتعب ، ولن يتذوق لذة الانتصار إلا بعد تذوق مرارة الفشل ، وحاول من

---

[1] أشكال التخيل من فتات الأدب والنقد : صلاح فضل ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط1 ، 1996م ، المقدمة .

[2] 17 رمضان : جرجي زيدان : 17 .

خلال شخصية سعيد أن يعالج حادثة تاريخية إسلامية ، وهو الصراع حول الخلافة والفتنة التي ظهرت في ذلك الوقت وقد صورها من خلال أعمال البطل و أهدافه.

2- علاقة قطام بلبابة :

لبابة امرأة كبيرة وكانت قد ربيت قطام منذُ نعومة أظفارها وتعتبرها بمنزلة أمها وهي أقرب شخص إلى " قطام " وكانت مطلعة على جميع أسرارها ونواياها ورغبتها بالانتقام وكانت تساعدها في وضع الخطط والمؤامرات ، وهي مؤامرات خيالية كانت تعبر عن الأنانية وحب الذات ، حتى وإن كانت على حساب الآخرين ، فهدفهم الوحيد هو الوصول إلى غايتهم وتحقيق رغباتهم ، وقد اشتركا في المكر والخداع ، لكن لم يستمر نفاقهما إلى النهاية ، بل وقعا في شر أعمالهما عندما انكشف أمرهما أمام عمرو بن العاص ،إذ إن أحداهما كشفت خداع الأخرى وبهذا ينطبق عليهما قوله تعالى : " **إذ تَبَرأ الذِينَ اتبِعُوا مِنَ الذِينَ اتبَعُوا وَرَأوُا العَذَابَ وَتَقَطعَت بِهِمُ الأسبَابُ** "[1]. وقد وظف جرجي هذه النهاية ليبين نهاية كل انسان يتبع شخصًا ضالًا وأنانيًا ، وبالتالي سوف يقع بشر أعماله ، وأن الشر مهما يطول لابد أن يقضى عليه .

3- علاقة سعيد بخولة :

خولة فتاة من أهل الفسطاط وهي من أنصار الإمام علي " عليه السلام " ، ألتقى فيها سعيد عندما ذهب إلى الفسطاط للبحث عن أنصار الإمام علي ، وكان لها دورًا مهمًا في الرواية ، جاءت لتسد الفراغ الذي تركته قطام في حياة سعيد لتستمر أحداث الرواية وكانت بداية لقائهما بالفسطاط عند المنزل الذي كانت خولة مسجونه فيه وانقذها سعيد منه ، وكان هدفهما حماية الإمام علي (عليه السلام) من المؤامرة التي كانت ضده فذكر على لسان خولة في الرواية أنها قالت : " فلما رأيت منه هذا الاستعداد المريب عمدت إلى الحيلة ، فلما جاءنا في صباح أمس يودع أبي وقد عزم على الكوفة ، قلت في نفسي : سيذهب الرجل و أنا جاهلة السر ، فتظاهرت بأعجابي بشجاعته وأقدامه ، وأطريت غيرته على الإسلام ونحو ذلك ، وسألته أن يريني السيف لأتأمل فرنده ، فجاء به وأوصاني أن أتقى حده لأن جرحه يميت ، فسللته بحذر ، فإذا هو يلمع لمعانا تقشعر منه الابدان ، فارتعد جسمي ولكنني أظهرت الجلد وقلت : أراك

---

[1] سورة البقرة : 167.

أنفقت مالا كثيرا على صقله ، ما الفائدة من هذا اللمعان؟ فضحك مستخفا وقال : " أتحسبينني أنفقت كل ذلك المال على صقله فحسب ؟ " قلت : " وماذا هناك ، أني لا أرى فيه غير اللمعان " ، فقال : " لقد سقيته السم " ، فتظاهرت بالدهشة وقلت : " ولأي شيء هذا ؟ " . وما زلت أحاوره وأجادله حتى خدع فقال : " أعلمي يا خولة أني سأقتل بهذا السيف رجلا يزعمون أنه أكبر رجل في الإسلام ويقولون أنه أقربهم إلى الرسول ". قال ذلك والشر باد في عينيه وأصفرار اللؤم يتخلل ما كان يحاوله من الابتسام . أما أنا فلما سمعته أرتعدت فرائضي واختلج قلبي وأظنه قرأ ذلك على وجهي . كيف لا وقد ظهر لي أنه يريد قتل الإمام علي . ولكنني أردت التثبت فقلت : " ومن هو ذلك الرجل ؟ " . فقال : " ألا تعلمين من هو ؟ ألا تعرفين سبب كل هذا الانقسام ؟ فإذا كنت لم تفهمي بعد فأقول لك أنه علي بن أبي طالب الذي يدعوه أشياعه أمير المؤمنين ". قال ذلك واحمرت عيناه وتجلى الغدر في وجهه وقال : " احذري أن تبوحي بذلك لأحد ، وألا أصابك جرح من هذا السيف " . قال ذلك وهو يمزح الجد بالهزل . أما أنا فتحققت أنه يقتلني ولا يبالي ، فالذي يجرؤ على قتل أمير المؤمنين كيف لا يقتل فتاة مثلي . فلم أستطيع جوابا وخفت أذا أنا نطقت أن ينكشف أمري ، فسكتت وقد عولت في سري على السعي لإبلاغ أمير المؤمنين ذلك على عجل ، لأن موعد القتل قريب وأظنه في 17 رمضان ، لأني كثيرا ما كنت أسمعه يذكر هذا التاريخ ويعرض بذكر الكوفة ، ولم أكن أفهم مراده وقتئذ . وأما الآن فقد تأكدت أنه عازم على قتل الإمام علي في 17 رمضان ، ونحن الآن في أواسط شعبان وأخاف أن ينال هذا الرجل بغيته قبل أن يبلغ الخبر عليا . آه يا ليتني طير لأحمل الخبر أليه "[1] .

---

[1] 17 رمضان : جرجي زيدان : 63 – 64 .

المبحث الثاني : الشخصية الروائية بين التاريخ والفن

أ - الشخصية التاريخية (الواقعية):

تعرف الشخصية على أنها : " صِفَاتٌ تُمَيزُ الشخصُ عَن غَيرِهِ ، ويُقَالُ فُلاَنٌ ذُو شَخصِيَةٍ ، و ذُو صِفَاتٍ مُتَمَيزَةٍ ، وإِرَادَةٍ و كَيَانٍ مُستَقِلٍ "[1]، بمعنى أن الشخصية هي : الكيان الذي يضم في طياته الجوانب الوجدانية والعقلية لها .

تلعب الشخصية دورًا مهمًا و أساسيا في بناء الرواية ، إذ إنها مركز الأفكار و مجال المعاني التي تدور حولها الأحداث من خلال تحركاتها والعلاقات بينها . " فهي أداة من أدوات الأداء القصصي ، يضعها القاص لبناء عمله كما يضع اللغة والزمان وباقي العناصر الفنية الأخرى "[2].

كان مفهوم الشخصية في العصور المبكرة كما في الملحمة يتمثل من خلال إعطائها دورًا هامشيًا ، وكان الحدث بالنسبة لأرسطو هو البعد الوحيد الذي استندت إليه المأساة ، بحيث احتاجت إلى آلة متحركة لها وظيفة استندت إليها المحاكاة ، من ثم كانت الشخصية مجرد اسم لا يقوم بأي وظيفة غير ما يسند إليها من أعمال ضرورية للحكاية ، وبمعنى آخر، و إن الشخصية كانت مجرد إطار صوري لا يتمتع بأي وجود حقيقي بحيث كانت تفتقر لما يثمن وجودها ويشحذ فكرها ويلهب عاطفتها و يجعل منها شخصية واعية ذات قيمة[3].

وفي القرن التاسع عشر تقلصت تبعية الشخصية للحدث ، وأصبح للشخصية وجودها المستقل ونظامها الخاص لا كسند للحدث و بدأت تطبع بسمات دلالية كثيرا ما يكون لها مرجع اجتماعي واضح[4].

---

(1) المعجم الوسيط : إبراهيم المصطفى وآخرون ، تحقيق ، مجمع اللغة العربية ، دار العودة ، د. ط : مادة ش، خ ، ص.

(2) القصة الجزائرية المعاصرة : عبد الملك مرتاض ، المؤسسة الوطنية للعنوان الجزائري ، د. ت ، د . ط : 71 .

(3) الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية وهوية الانتماء : سليماني فاطمة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان ، كلية الآداب واللغات : 7.

(4) الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية وهوية الانتماء : سليماني فاطمة : 7 .

والشخصيات التاريخية ، هي شخصيات واقعية ، تتمثل في شخصيات حقيقية خلدها التاريخ ؛ حيث " يستوحيها المؤلف من كتب التاريخ وأحداثه ، ويكون موضوعها مقتبسا من سيرة القادة ورجال الدين ، أو أصحاب الحركات والثورات التاريخية للشعوب مع مختلف أجناسها "[1] .إن الشخصية التاريخية تفرض بحضورها في العمل طوقًا يحد من حرية الكاتب لا تخففه إلا الشخصيات المتخيلة ، فالشخصية التاريخية من المتانة والثقة بالنفس بحيث تقود الكاتب إلى مصيرها هي كما حُسم قبل مئات أو عشرات السنين ، وهذا ما يجعل الرواية التاريخية مهددة بخطر استحواذ التاريخ عليها [2].

فالشخصيات في رواية " 17 رمضان " لجرجي زيدان استمدها من التاريخ الإسلامي (الواقعي) ، وهناك إلى جانبها شخصيات متخيلة تربط علاقات متنوعة، وقد قدم زيدان في روايته قائمة لمجموعة من الشخصيات ، وهذا إن دل على شيء ، إنما يدل على تمكن جرجي ، واطلاعه على التاريخ وأحداثه ، وهذه تعتبر خصيصة من خصائص الرواية التاريخية ، وبالعودة إلى الرواية يمكن أن نمثل لكل نوع منها كالآتي :

أ - الشخصيات الرئيسية :

هي تلك الشخصية التي تستحوذ على اهتمامنا تمامًا ، ولو فهمناها حقًا ؛ فإننا نكون غالبًا قد فهمنا جوهر التجربة المطروحة في الرواية . أي إن الشخصيات الرئيسية تؤدي مهمة رئيسية حيث تقودنا إلى طبيعة البناء الدرامي ؛ فعليها نعتمد حين نبنى توقعاتنا ورغباتنا التي من شأنها أن تحول أو تدعم تقديراتنا وتقييمنا . ومن ثم تنهض قيمة معظم الروايات وما تحدثه من التأثير الفعال على مدى مقدرة الشخصيات الرئيسية في تقديم المواقف والقضايا الإنسانية التي يطرحها العمل تقديمًا حيويًا . إننا نميل إلى تقييم العمل في ضوء مقدرة الشخصيات على تجسيد تلك المواقف بصورة مقنعة[3].ومن الشخصيات الرئيسية في الرواية :

1- شخصية الإمام علي بن أبي طالب (ت 40 هـ):

---

(1) التوظيف الفني للتاريخ في رواية " فتح الأندلس " ل : جرجي زيدان : سناء شويب : 56 .

(2) الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية : د . نضال الشمالي : 226 .

(3) قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير : روجر ب. هينكل ، ترجمة ، د. صلاح رزق ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط2 ، د.ت : 228 – 229 .

وهو ابن عم رسول الله محمد (ﷺ) وصهره ، ورابع الخلفاء الراشدين عند السُنة و أول الأئمة عند الشيعة . تمت بيعة علي (عليه السلام) بالخلافة بطريقة الاختيار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه، على أيدي الخارجين المارقين شذاذ الآفاق ، ومن أمصار مختلفة ، فبعد أن قتلوا عثمان يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس و ثلاثين . قام كل من بقى بالمدينة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمبايعة علي (عليه السلام) بالخلافة ، وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت ، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان ، ولم يكن أبو السبطين ، حريصًا عليها ، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقى من الصحابة بالمدينة ، وخوفًا من ازدياد الفتن وانتشارها ، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال إثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التي أوقد نارها و أنشبها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ و أتباعه الذين استخفهم فأطاعوه ، لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى[1]، وقد روى سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية قال : " فأتاه أصحاب رسول الله فقالوا : إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد أحدًا أحق بها منك أقدم مشاهد ، ولا أقرب من رسول الله ﷺ فقال علي : لا تفعلوا فإني لكم وزيرًا خير مني أميرًا ، فقالوا : لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك ، قال : ففي المسجد فإنه ينبغي لبيعتي ألا تكون خفيا ولا تكون إلا عن رضا المسلمين ، قال : فقال سالم بن أبي الجعد : فقال عبد الله بن عباس : فلقد كرهت أن يأتي المسجد كراهية أن يشغب عليه ، وأبى هو إلا المسجد ، فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس"[2].

وقد وصف الروائي هذه الشخصية ، في قوله : " وبعد هنيهة ، فتح باب السدة ، ودخل منها الإمام علي وهو يمشي الهويني وعمامته على رأسه تغطي صلعته وكان ذا بطن ولحية كثيرة الشعر ضخم العضل "[3].

---

[1] سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه شخصيته وعصره : د. علي محمد الصلابي ، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، ط1 ، 1426 – 2005 م : 183.

[2] سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شخصيته وعصره : د. علي محمد الصلابي : 184 .

[3] 17 رمضان : جرجي زيدان : 91 .

إن الرجل لا ينظر للإمام بالهالة التي ينظر فيها أتباع الإمام من الشيعة الأمامية كونه كاتبا مسيحيا ينظر للوقائع بكل موضوعية وتجرّد ، فيصف الشخصية بالصفات الواقعية .

إن هذا الوصف الخارجي للشخصية محاولة من الروائي ، لإبراز السمات الخارجية بأن علي يتميز بعدة صفات جسمية منها : الصلع ، وأنه ذا بطن ولحية ، ولم يكتف بالوصف الخارجي فقط ، فهناك وصف داخلي لها أيضا ، كما في المقطع : " وكان الإمام إذا فرغ الناس من الافطار وجلسوا للاحاديث أقلهم كلاما . وربما مكث ساعة أو بضع ساعات لا ينبس ببنت شفة كأنه يفكر في أمر ذي بال ، وربما كان تفكيره فيما يخشاه من سفك الدماء إذا حمل بزجاله على الشام ، ونفوس الناس وديعة عنده يضن بها أن تذهب ضياعا ولا يضن بها أصحابها في سبيل نصرته "[1]. ونرى هنا كيف أنه يفكر في الآخرين أكثر من تفكيره بنفسه.

عرفت شخصية الإمام علي حضورا واسعا في الرواية ، إذ كانت المحور الذي تدور حوله أحداث الرواية ، فمن خلالها تم عرض الأحداث ، والوقائع التاريخية ، و إبراز الجانب التاريخي في الرواية لقد نقم عليه جماعة وهو ما يطلق عليهم بالخوارج ، وذلك للتحكيم على إثر وقعة صفين وكانوا هم من فرضوا عليه قبوله. وعند خروج الخلافة نقضوا بيعتهم ، وقد حاربهم في عدة مواقع أشهرها وقعة النهروان ، وهذا كله حدث حقيقة في التاريخ ، ونجد جرجي زيدان مولع بكتابة التاريخ الإسلامي ، ويحاول في ذلك توظيف قصة عاطفية لجذب القراء ، وكانت قطام قد قتل والدها وأخيها في موقعة النهروان ، فبدأت للتخطيط لقتل علي ، وهذا ما ذكرناه سابقا وقد تحققت رغبتها .

" فإذا بابن ملجم قد أقبل على علي بأسرع من لمح البصر والسيف يبرق في يده وضربه على جبهته وهو يقول : " الحكم لله يا علي وليس لك و لأصحابك " فصاح علي : " فزت ورب الكعبة "[2].

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 87 – 88 .

(2) المصدر نفسه : 92 .

استطاع جرجي زيدان أن يلم بالمادة التاريخية ، التي تخص اغتيال الإمام علي (عليه السلام) ، وحتى أن كانت هذه المادة ضئيلة ، هذا لا يعني أنه لم يوفق في دمج الشخوص التاريخية مع الشخوص التخيلية التي عمد إليها من أجل تحريك الشخصية التاريخية.

2- شخصية قطام بنت عدي (غادة الكوفة) (ت 40 هـ):

قطام بنت شحنة التميمية وهي من بني تميم ، ولما دخل الدنس الخبيث ابن ملجم إلى الكوفة التقى ببعض أصحابه من تيم الرباب ، وكانت قطام عنده ، وكان الإمام قد قتل أباها و أخاها في واقعة النهروان ، وكانت بارعة في الجمال ، فلما رآها ابن ملجم فتن بها ، فخطبها فأجابته إلى ذلك ، وشرطت عليه الباغية مهرًا وهو ثلاثة آلاف درهم ، ووصيفًا ، وخادمًا ، وقتل الإمام (عليه السلام)[1].

وقد وصف الراوي هذه الشخصية ، في قوله : " فتاة في متقبل العمر أشرق وجهها بماء الشباب ، وقد حلت شعرها الأسود فأرسلته على كتفيها فحجب بعض جبينها ، وغطى عذاريها فحجب قرطيها وسالفيها ولكنه زاد عينيها كحلا واشراقا . ولكن عينيها الدعجاوين البراقتين قد غشيهما الدمع فأخذ ينحدر على وجنتين محمرتين بينهما أنف دقيق مستقيم تحته فم صغير . فإذا أزداد انسكاب الدمع تلقته بأطراف جدائلها أو بأحد كميها . وكانت لا بسه جلبابا أسود زادها جمالا وفتنة "[2].

ومن خلال هذا القول تتضح السمات الخارجية لهذه الشخصية بأنها كانت في متقبل العمر ، وشعرها لونه أسود ، بعينين واسعتين ،وذات وجنتين محمرتين ، وأنف مستقيم وفم صغير ، أما لباسها فكانت تتخذ جلبابا أسودا حدادًا على قتلاها في صفين .

وقد وصف الراوي الجانب السايكولوجي لهذه الشخصية في مواضع أخرى بأنها تحمل في قلبها البغض وحب الانتقام لأبيها وأخيها اللذين قتلا في وقعة صفين ، وتتضح هذه الصفات من خلال أفعالها ، فقد قامت في البداية بخداع سعيد لأجل الانتقام من الأمام علي (عليه السلام) بقولها : " لا . لا أرضى أن تعرض نفسك لهذا الأمر من أجلي ، فأني أولى منك بركوب هذا

---

[1] موسوعة الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : باقر شريف القرشي ، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية ، ط1 ، 1422 – 2002 م : 11 \ 240 -241 .

[2] 17 رمضان : جرجي زيدان : 8 .

المركب الخشن " . ثم رفعت يدها و أشارت بسبابتها إلى صدرها وقالت بصوت تتخلله غصة البكاء : " أنا أقتل قتلة أبي و أخي بيدي . أنا أقتلهم . أنا أقتل عليا و أن كنت فتاة فأن حب الانتقام يقويني ويشجعني . ولا حاجة بي إلى تعريض سواي لخطر القتل . أنك شاب لا يهمك من أمر علي شيء، فكيف تتصدى لقتله من أجل غيرك ؟ ذلك لا يكون "[1].

وبعدها لم تكتفي بخداع سعيد فحاولت خداع ابن ملجم و أغراءه من أجل تنفيذ رغبتها بالانتقام ،فقالت مخاطبة " أنت تعلمين حالي يا خالة ، بل أنت أدرى مني بما هو شغلي الشاغل من الأحزان والمصائب ، فلم يبق لي عقل أذكر به شيئا غير مقتل أخي و أبي . والسعي في الانتقام من أهل العدوان " ... قالت ذلك و أجهشت بالبكاء ... قال : " لقد جئتك خاطبا و أنت في أحزانك عساي أن أستطيع تفريجها ، فاطلبي مني ما تشائين مما تقر به عيناك " ... قالت : " أن مهري هو قتل علي بن أبي طالب قاتل أبي وأخي "[2]. كل هذه الأفعال تعكس لنا شخصية قطام السلبية.

ونجد أن هذه الشخصية وظفها جرجي زيدان للتعبير عن الأنانية وحب الذات حتى و أن كان على حساب الآخرين ، فهدفهم الوحيد هو الوصول إلى غايتهم وتحقيق رغباتهم، وربما أراد أن يقول لنا جرجي زيدان من خلال توظيفه لشخصية " قطام " على الصورة التي ظهرت بها من خلال الرواية . إن قوة سيطرة اللذة والجمال قد يخضع أمامها أعتى الجبابرة فينسون أنفسهم مفتونين وغير مترددين عن ارتكاب أبشع الجرائم بأنقى الناس وأكثرهم طهرًا وقربًا لله على هذه الأرض!.

ب - الشخصيات الثانوية :

الشخصية الثانوية هي الشخصية المساندة التي تعطي للعمل الروائي حيويته ونكهته وقدرته على ابلاغ رسالته على قول جماعة من البنيويين ، و أن تجذير الصورة الدرامية داخل العمل الروائي لا يتم إلا من خلال تحريك الشخصيات الثانوية التي تعطي للصراع ذرواته ومعناه ، ومن هنا فالشخصية الثانوية ليست حالة أو مادة عابرة أو مفروضة على مسرح

---

(1) 17رمضان : جرجي زيدان : 14 – 15 .

(2) المصدر نفسه : 79 – 80 .

الحدث ، " و أستطيع القول : أن الشخصية الثانوية شخصية بطلة أيضًا إنما بمستواها ، وهنا يبدو تأثير المسرح واضحًا في هذا التشخيص "[1] .

وقد تجسدت الشخصيات التاريخية الثانوية في الرواية كالاتي :

1- شخصية عبد الرحمن بن ملجم (ت 40 هـ) :

عبد الرحمن بن مُلجِم – واسمه يحيى – بن عمرو بن ملجم بن قيس المُرادي ، وابن ملجم هو أحد أصحاب عبد الله بن وهب السبائي المعروف بابن سبأ \ وبابن السوداء . وقال بقوله في علي بن أبي طالب وصار من شيعته . ثم خرج على علي رضي الله عنه مع من خرج عليه من المحكمة وقتله[2].

وقد وصفه الراوي في قوله : " وقف في الباب رجل طويل القامة نحيف البدن ، خفيف اللحية أشمطها ، براق العينين يكاد الشرر يتطاير منهما ، وعليه العباءة والقفطان والعمامة و آثار السفر لا تزال بادية على نواتئ وجهه ، وبخاصة أنفه فقد كان شديد الاحمرار . فخلع عبد الرحمن نعله خارج الباب وحيى ودخل . فردت قطام التحية وهي تهم بالوقوف و أشارت أليه أن يجلس ، فجلس الأربعاء مستعرضا سيفه على فخذيه "[3].

يمتاز بالخبث والأنانية ، وحب الحسان ، فخطب خولة وقطام في نفس الفترة ، وكان يعيش في الفسطاط وذهب إلى الكوفة لقتل علي ، وكان ممن يملكون المال حسب قوله : " أني اشتريته بألف وسممته بألف لأقتل عليا بن أبي طالب "[4] ، ولا يقوم بهذا الفعل سوى صاحب قلب ميت . ونجد وصفا لنفسية ابن ملجم في تلك الليلة ، في عزمه على قتل الإمام علي " لا نخاله قضى ليلته ألا قلقا مضطربا لهول ما عول عليه من الأمر الجسيم ... لا نخال ابن ملجم قضى ليلته ألا على شوك القتاد لم يغمض له جفن وقد طال ليله . وربما حدثته نفسه بالرجوع

---

(1) مدخل إلى الشخصية الثانوية في الرواية العراقية : باسم عبد الحميد حمودي ، العراق ، الأقلام ، العدد 6 ، 1 يونيو 1988 .

(2) المقفى الكبير : تقي الدين المقريزي : 4 \ 63 – 64 .

(3) 17 رمضان : جرجي زيدان : 78 – 79 .

(4) المصدر نفسه : 80 .

عن عزمه فيغلب عليه عهده لرفقائه ووعده لخطيبته قطام بنت شحنة"[1]. ونراه قد بات ليلة مستيقظا يتحاور مع نفسه ، وكيف له أن ينام وقد قدم على أشنع الأفعال قتل الإمام علي ، ولم ينجو من فعلته هذه فقد قُتل شر قتلة " دعونا نشف ما في انفسنا منه ، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم يتكلم ثم كحل عينيه بمسمار محمى فلم يجزع ... فقطعوا لسانه ثم جعلوه في قوصرة فأحرقوه بالنار "[2]. وهذا هو جزاء المجرمين كل شخص ينال بما قدمت يداه كما في قوله تعالى : " **قُل سِيرُوا فِي الأَرضِ فَانظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُجرِمِينَ** "[3]. وذُكر أن ابن ملجم من القراء المشهورين ، وأنه جزع عندما أرادوا قطع لسانه لأنه لا يريد إلا أن يكون من الذاكرين لله ، وهذا الأيمان مزيف لأن الأيمان الحقيقي تعكسه الأفعال وليس الأقوال.

2- شخصية عثمان بن عفان (ت 35 هـ):

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان رضى الله عنه ، كالرخاء و أثره في المجتمع ، وطبيعة التحول الاجتماعي ، ومجيء عثمان بعد عمر رضى الله عنهما ، وخروج كبار الصحابة من المدينة ، والعصبية الجاهلية ، وتآمر الحاقدين ، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان ، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس ، و أثر السبئية في أحداث الفتنة[4].

وقتل عثمان كان سببًا في الفتنة التي حدثت ، والرواية تعالج قضية الفتنة إلا أن الراوي لم يتطرق إلى حياة عثمان وأن ذُكر في مواضع مختلفة لكن لا نجد وصفًا له في الرواية ، فقد كان يروي من زاوية واحدة وهي قتل الإمام علي (عليه السلام).

3- شخصية عمرو بن العاص (ت 43) :

---

(1) 17رمضان : جرجي زيدان : 88.

(2) المصدر نفسه : 96 .

(3) سورة النمل : 69 .

(4) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه شخصيته وعصره : د. علي محمد الصلابي : 168 – 169 .

ابن وائل الإمام أبو عبد الله ، ويقال : أبو محمد السهمي . داهية قريش ورجل العالم ، ومن يضرب به المثل في الفطنة ، والدهاء ، والحزم[1]. عمرو بن العاص شخصية تاريخية معروفة و إن كان قد دخل في الفتنة التي ظهرت ، ونجد لها حضور في الرواية فهو حاكم مصر ، وهو من جملة المطالبين بدم عثمان ، وبالتالي فهو ضد علي .

وقد وصف الراوي السمات الخارجية لهذه الشخصية ، في قوله : " فقال سعيد " من هؤلاء " . فقال عبد الله : " أنهم الشرطة يفسحون الطريق للأمير " . ولم يكد عبد الله يتم كلامه حتى دخل رجل ربعة قصير القامة وافر الهامة أدعج ابلج عليه ثياب موشاة كأنها العقيان تألق عليه حلة وعمامة وجبة ، فعرفا أنه عمرو بن العاص "[2].

ولا نجد تصوير لصراع داخلي عاشته هذه الشخصية ، لأنها ليست شخصية رئيسية في الرواية لها دور فعال في تطوير الأحداث . وقد حاول : " عمرو بن بكر " قتل عمرو بن العاص وقد فشل في ذلك .

4- شخصية معاوية بن أبي سفيان (ت 60 هـ):

كان خليفة على الشام ، ومن الذين نقموا على علي ، وقد كان سعيد يبرر قتله لعلي لينتقم لبني أمية ، وينال حظوة في عين معاوية ، وهذه كانت في بداية سعيد ، وكان يريد أن ينظم إلى جيشه ، لكن الأمور اختلفت عندما التقي بجده أبا رحاب واكتشف أنه على ضلالة وسائر بني أمية وكان معاوية ممن تنازعوا على الخلافة كما في قول أبا رحاب لسعيد : " و أما معاوية وسائر بني أمية ، فهل تحسبهم شرعوا الأسنة وايقظوا الفتنة مطالبة بدم ذلك الخليفة المقتول ؟ . اذا كانوا فعلوا ذلك غيرة وحنانا فما بالهم لم يدافعوا عنه وهو محصور يستنجدهم من المدينة إلى الشام ؟ وهب أنهم تأخروا عن نجدته كرها كما يزعمون فما بالهم نسوه ونسوا أولاده. واذا كانوا يؤمنون بأنه قتل ظلما و أنهم أنما قاموا للمطالبة بدمه ، فلماذا لم يولوا الخلافة ولدا من أولاده ؟ أرأيت كيف اتخذوا اسم هذا الخليفة ودمه ذريعة إلى السلطان ؟ "[3]،

---

[1] سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748 – 1374 ، مؤسسة الرسالة ، ط 11 ، 1417 – 1996 م : 54 – 55 .

[2] رواية السابع عشر من رمضان : جرجي زيدان : 54 .

[3] المصدر نفسه : 25 .

وقد حاول : " البرك بن عبد الله التميمي " قتل معاوية في السابع عشر من رمضان لكنه فشل في ذلك .

ب - الشخصيات المتخيلة :

تعرف الشخصية المتخيلة ، بأنها : " الشخصية التي لا تمتلك وجودا موضوعيا خارج النص ، لكنها تقوم ببعض الوظائف التاريخية ، وتعمل على تسريع الوقائع (وقائع النص) ، والتأثير فيها و تغيرها "[1]، فالشخصية بهذا المعنى هي شخصية خيالية ابتدعها الكاتب للقيام بأعمال و أدوات تساهم في استمرارية السرد لضرورة الرواية ، وبالتالي فإن وجودها ليس حقيقيا ، لكنه يعمل على إضفاء الصفة الواقعية التي ينسبها إليها،" فهي شخصيات غير مستقرة وغير ثابتة ؛ بمعنى أنها متغيرة ونامية حسب المتطلبات السردية لتبقى في الإطار على وتيرة واحدة على طوال المسار السردي "[2]، ولقد لجأ الروائي إلى هذا النوع من الشخصيات حتى يتمكن من شحنها بالعديد من الأفكار والتعبيرات التي تتجسد في شل الأحداث والحقائق التي تعكس مجرى الحياة والمشكلات التي تحتويها ، هي مثل القناع الذي يستخدمه الروائي لإيصال أفكاره ومشاعره للآخرين.

وقد شهدت الرواية العديد من الشخصيات المتخيلة ، (الرئيسية و ثانوية) كالتالي:

الشخصيات الرئيسية :

1- سعيد الأموي :

سعيد بطل الرواية الخيالي ، يمثل الشخصية الايجابية ، فهو أموي من جملة من نقموا على " علي " وقاموا بمطالبته بدم عثمان ، ولكن لم يبقى على موقفه إلى النهاية بل سرعان ما تغيير عند لقائه بجده أبا رحاب واكتشف حقيقة معاوية وبني أمية ومنازعتهم على الخلافة وبعدها أصبح من المدافعين عن الإمام علي (عليه السلام)، وقد وصفه الراوي في قوله : " كان سعيد شابا أمويا في حوالي الثلاثين من عمره "[3]، وقال عنه في موضع آخر : " فخيل

---

(1) التوظيف الفني للتاريخ في رواية " فتح الأندلس " لـ : جرجي زيدان : سناء شويب : 62.

(2) التوظيف الفني للتاريخ في رواية " فتح الأندلس " لـ : جرجي زيدان : سناء شويب : 62.

(3) 17رمضان : جرجي زيدان :12 .

أليه أن قطام أذا رأت جماله و تحققت ما هو فيه من الوجد لا تلبث أن تقع في هواه "[1] ، وفي موضع آخر :" فيصلح عمامته ويمشط شاربيه ولحيته ، وينفض جبته ويصلح وضعها "[2]، نلاحظ أن الراوي لم يصف هذه الشخصية وصفًا دقيقًا بل أكتفى بذكر أنه كان شاب جميل الشكل ، أحب سعيد قطام واشترطت عليه قتل الإمام علي مهرا لزواجها واستكتبته بذلك صك ذُكر في المبحث الأول من هذا الفصل وفي النهاية اكتشف نفاقها وكذبها كما في قوله تعالى : " **وَ مِنَ الناسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الَحَيَاةِ الدنيَا وَ يُشهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلبِهِ وَ هُوَ أَلَدُ الخِصَامِ** "[3]، وهذا القول ينطبق على قطام ، فالشخص مهما كان جميل الشكل والمنظر ويغريك بكلامه ونفاقه فالله سبحانه مطلع على ما في القلوب من الغل والحقد وكاشفهم . فكان سعيد طيب القلب وقطام على عكسه لذلك انتهت قصتهم بالفشل ، وبعدها التقي سعيد بخوله فأعجب بشجاعتها و أقدامها بالدفاع عن الإمام علي فأحبها وانتهت قصتهم بالزواج .

وكأن جرجي زيدان يحاول أن يوصل إلينا من خلال هذه الشخصية بأن الإنسان لن يصل إلى هدفه دون جهد وتعب وتذوق مرارة الفشل ، وحاول من خلال هذه الشخصية معالجة حادثة تاريخية إسلامية ، وهو الصراع حول الخلافة والفتنة التي ظهرت في ذلك الوقت وقد صورها من خلال أعمال البطل و أهدافه.

2- لبابة :

امرأة عجوز من مولدات الكوفة ، مربية قطام منذُ نعومة أظفارها وهي تحن أليها حنينها إلى أمها .

وضح لنا الراوي وصفا خارجيا لهذه الشخصية فيقول : " دخلت العجوز تتوكأ على عكازها وقد احدودب ظهرها ونال منها الكبر فزادها قصرا ولكنها ما زالت سريعة الحركة شديدة العصب ، وكانت عمصاء العينين غائرة الفم لخلوه من الأسنان ، مجعدة الخدين غائرتهما . فتقدمت قطام وقد غطت شعرها الشائب بنقاب أسود تجره وراءها لطوله وقصرها

---

(1) 17رمضان : جرجي زيدان : 13.

(2) المصدر نفسه : 13 .

(3)سورة البقرة : 204 .

"[1]، ونرى أن مرور الزمن قد ترك أثره عليها من خلال التجاعيد وسقوط أسنانها وضعف عظامها ، فقد حدد الروائي أهم أوصافها الداخلية وهو النفاق والدهاء والمكر معتمد على إظهار أسلوبها وحوارها مع قطام فهي خبيرة في النفاق والمكر فيقول الروائي : " قالت : " هوني عليك يا قطام واستريحي ، فقد جئتك بالفرج بإذن الله " قالت : " من أين يأتيني الفرج ولا يفرج كربتي ألا الانتقام " ... قالت العجوز : " ما قولك أني وجدت لك من يأخذ لك بثأرك ؟" قالت : " من هو ؟ قولي " قالت : " اصبري ولا تكوني لجوجة . أتعرفين سعيدا ؟" ... قالت : " إذا كان لا بد من الانتقام فيجب أن تحبي سعيدا " قالت :" كيف أحبه وليس في قلبي موضع لغير البغض والحقد . أني حاقدة ناقمة " قالت : " أنا أعلم ذلك ، ولكن أحبي سعيدا ولو إلى حين وهو ينتقم لك "[2]، من خلال الرصدات التي اقتطعناها من النص حول بناء شخصيتها الداخلية ، يتبين لنا أن هذه الشخصية تتميز بالخبث والخداع ، فهي شخصية ذات نوايا خبيثة . وهي شريكة قطام في المكر و خداع الآخرين ، فهي المدبر الرئيس لكل خطط قطام ، وهي و من جمعت قطام بابن ملجم ، وكانت نهايتها القتل على يد قطام وابن ملجم ، وهكذا تكون نهاية الشر الاندثار .

وقد وظف الراوي هذه الشخصية لتمثل المنافقين في زمن الفتنة الكبرى .

الشخصيات الثانوية :

3- رفقاء سعيد(عبد الله ، خولة ، بلال):

وهم رفقاء سعيد يعملون من أجل انقاذ الإمام علي من المؤامرة المحبكة ضده ، ولم ترد لهم مواصفات واضحة في الرواية ، وإنما أشار الكاتب إلى بعض المواصفات فقال عن خولة : " شابة في متقبل العمر جميلة الطلعة وقد أحمرت عيناها وذبلت أهدابهما من البكاء ، فلم يزدها ذلك ألا حسنا ، وكانت قد ضفرت شعرها في أثناء الطريق وغطت رأسها بطرف ثوبها "[3]، وغطاء الرأس بالثوب دلالة على المرأة العربية المسلمة المحتشمة ، ولم يرد وصف لعبد الله إلا في موضع واحد وهو عندما كانت تنظر إليه خولة " فرأته معتدل القوام رشيق الحركة

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 9 .

(2) المصدر نفسه : 9 – 10 .

(3) المصدر نفسه : 61 – 62 .

فارتاحت لرؤيته وسرت به لمشابهته سعيدا " ، والعبد بلال لم يرد له وصفا في الرواية ، ونحن نعلم أن العبيد معروف عليهم في ذلك الوقت بقوة البدن والبشرة السمراء .

أما وصفهم الداخلي فهم أشخاص يدافعون عن الخير ، والناس الطيبين ، وأوفياء لأسيادهم ، لا يحبون النفاق والكذب ، وتظهر صفة المحبة والأخوة والاحترام بينهم كما في هذا المقطع السردي " فبهت بلال وغلب عليه البكاء من الفرح وصاح : " انت حي يا مولاي ؟ من لي بمن يحمل هذه البشرى لأبن عمك ؟ . والله أني حاملها أليه الساعة "[1] ، كما تظهر عليهم ملامح القلق والخوف والحيرة على وجوههم ، وهذا بسبب المؤامرة ضد الإمام علي، وفي موضع آخر من الرواية نرى صفات الشجاعة وعدم اليأس وتحدي الصعاب في تحقيق رغبتهم كما في الرواية " فقال لها : " اعلمي يا قطام أني قاتلك انتقاما للإمام علي " . قال ذلك وأغز خنجره في عنقها فاحتز رأسها وترك الجثة ولها شخير رن في أذنيه إلى مسافة بعيدة "[2].

وقد وظف الراوي هذه الشخصيات لتمثل أصحاب أو أنصار الإمام علي (عليه السلام) ومواقفهم و حالهم من أجل الدفاع عن الإمام علي .

4- ريحان :

عبد كهل ربى في أهل قطام منذُ صباه ، وقد هجرها بعد أن بليت بمصيبتها جميع الخدم والأعوان ما عداه . وكانت ترتاح إلى بث شكواها له ، وكان يخفف عنها ويعدها بنيل المرام.

وقد وصفه الراوي ، في قوله : " كان ريحان طويل القامة ، شديد السواد ، خفيف العضل ، سريع الحركة ، جاحظ العينين ، أفطس الأنف ، عظيم الوجنتين ، بارز الأسنان يزيدها بروزا تدلى شفته السفلى وانحسار شفته العليا "[3] ، وهنا نلاحظ أنه كان أسمرا ، وهذا ما هو معروف عن العبيد في ذلك الوقت العصر الإسلامي .أما وصفه النفسي ، فهو شخصية بدون مبادئ ، يرى الشر أمامه ولا يحرك ساكنا ، ولما كانت سيدته في كامل سلطتها خدمها وفيا وعند قتلها ذهب واستولى على أموالها .

---

(1) 17 رمضان : جرجي زيدان : 123 .

(2) المصدر نفسه : 144 .

(3) المصدر نفسه : 9 .

وهكـذا فقـد جمعـت هـذه الروايـة بـين نمطـين مـن الشخصـيات همـا (الواقعيـة التاريخيـة) والشخصيات (المتخيلة المصنوعة من الورق) وقد وظفّ جرجي زيدان النمطين كليهما في روايته على نوع من الصوغ الروائي الذي يمتزج فيه التاريخ بالخيال من أجل شدّ قارئه إلى التاريخ المستعاد ومن أجل أخذ العبر من الحاضر الذي يستعيد ذلك التاريخ بشكل فني تخييلي.

مســـــرد النتائـــــج

الخاتمـــــــة

بعد أن أنهينا هذا البحث الذي لا ندعي أننا أتينا على كل مطالبه ، ونفذنا إلى جميع مقاصده ، من الممكن أن نوجز أهم النتائج التي توصلت لها دراستنا بالآتي :

1. الدراسة كانت محاولة للإجابة عن الإشكال الذي يتمحور حول الكيفية التي اعتمدها الروائي (جرجي زيدان) ، في صياغته للأحداث المتخيلة . فرغم اهتمامه بسرد الحقائق التاريخية ، إلا أن مظاهر التخييل في الرواية تجلت عبر مجموعة من الآليات البسيطة والمتلائمة وطبيعة المرحلة التي برز فيها جرجي زيدان قبل أكثر من قرن .
2. وجدنا أن اهتمام زيدان بعنصر الحقائق التاريخية و الدقة في تدوينها قد فاق كثيرا اهتمامه بالعناصر الفنية في كتابة الرواية ، بدليل تصدير روايته التاريخية بقائمة من المصادر والمراجع التاريخية التي اعتمد عليها في كتابة الرواية ، وبدليل حرصه على أن يقرر لقارئه أن المادة التاريخية الواردة في رواياته يمكن الاعتماد عليها اعتمادك على ما دونه المؤرخون من قبلِهِ.
3. وضح الروائي من خلال الشخصيات ما يمكن أن تكون عليه ذات الإنسان ، فالصالح يحارب الشر ، ليبقى الخير منتصرا ، والسيء عليه بإصلاح ذاته و تطويرها ، فالرواية تمثل صراعًا بين الخير والشر مما يؤكد اضطلاع هذا الفن عند جرجي زيدان بمهمة خدمة البناء الاجتماعي وتعزيز القيم النبيلة ونبذ القيم الفاسدة .
4. توظيف جرجي زيدان شخصيات متباينة فهناك الرئيسية أو بطل الرواية ، والمساعدة ، و قد نجح في تنويع الشخصيات وربط العلاقات فيما بينها لبناء الأحداث مما ساعد على إتمام مسار الرواية .
5. نجح جرجي زيدان في تقديم الشخصيات الروائية بإتباع الأسلوبين الشائعين الإخبار و الكشف بأنواعها ، وهذا يدل على قدرته في تقديم الشخصيات للقارئ بأساليب مختلفة ، ولذلك لتشويق القارئ .

6. وهكذا تظل تجربة جرجي زيدان في الرواية التاريخية تجربة غير مسبوقة في الثقافة العربية ، ولذا لم يكن تعامله مع المادة التاريخية تعاملًا حُرًّا يجعلها قناعًا فنيًا يختفي في أردية السرد والقص والشخصيات ، وهو المستوى الذي وصلت إليه الرواية التاريخية العربية لاحقًا على يدي نجيب محفوظ وآخرين ، وهو مستوى لم يكن الوصول إليه بالسهل لولا الجهد الريادي الذي بذله جرجي زيدان في تجريب هذا اللون الروائي الذي عُرف به .

مسرد المصادر والمراجع

مسرد المصـــادر والمراجـــع

- القرآن الكريم .

- أولًا : الكتب

1. أسد الغابة في معرفة الصحابة : للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير ت 555 – 630 ، دار ابن حزم ، ط1 ، 1433 – 2012 م.
2. أشكال التخيل من فتات الأدب والنقد : صلاح فضل ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط1 ، 1996م .
3. الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار للملايين ، بيروت- لبنان ، ط15 ، 2002 م .
4. أعلام العرب جرجي زيدان : محمد عبد الغنى حسن ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 م .
5. إنتاج المعنى في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري : محمد نوري عباس ، مكتبة المجتمع العربي ، ط1 ، 2014 م.
6. أوقات الفراغ : محمد حسين هيكل ، ط2 ، القاهرة ، 1968م.
7. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام : الشيخ محمد باقر المجلسي ، تنقيح ، العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي ، منشورات ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1983 م .
8. بنية الشكل الروائي الفضاء ، الزمن ، الشخصية : حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1990 .
9. البنية والدلالة في القصة و الرواية العربية المعاصرة : محمود أمين العالم ، دار المستقبل العربي ، 41 شارع بيروت – مصر الجديدة – القاهرة.

10. تاريخ عمرو بن العاص : د. حسن إبراهيم حسن ، مكتبة مدبولي – القاهرة د. ط ، 1996 م .
11. تحليل النص السردي ، تقنيات ومفاهيم : محمد بوعزّة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، الجزائر ، ط1 ، 2007 م .
12. التخييل التاريخي ، السرد ، والامبراطورية ، والتجربة الاستعمارية : د. عبد الله إبراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2010م .
13. تطور الرواية الحديثة : جيسي ماتز ، ترجمة وتقديم ، لطيفة الدليمي ، الناشر ، دار المدى ، ط1 ، 2016م .
14. تطور الرواية العربية الحديثة في مصر 1870 - 1930 : د. عبد المحسن طه بدر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، 1992.
15. التعريفات : العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان – بيروت، 1985 م .
16. تقنيات السرد في النظرية والتطبيق : د. آمنة يوسف ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، 2015.
17. توظيف التاريخ في الأدب : جمعية النقاد الأردنيين ، مؤتمر النقد التاسع ، 14 – 15 أيار -2022.
18. جرجي زيدان في الميزان : شوقي أبو خليل ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1401-1981، ط2، 1401-1981 .
19. جماليات التشكيل الروائي : محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي ، سوريا ، دار الحوار للطباعة والنشر.
20. الحجاج بن يوسف : جورجي زيدان ، المقدمة ، دار الهلال ، القاهرة ، 1989.
21. دراسات في الأدب العربي الحديث : د. محمد مصطفى هدارة ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 1990م.

22. دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها ، اتجاهاتها ، أعلامها : محمد زغلول سلام ، الناشر ، المعارف ، الاسكندرية ، د. ت.

23. دراسات في نقد الرواية : د . طه وادي ، دار الهلال – القاهرة ، ط1 ، 1984م.

24. الذات في السرد الروائي ، قراءة في 40 رواية : محمد برادة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2014 .

25. أحمد بن طولون : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1908م .

26. عروس فرغانة : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1907م.

27. أبو مسلم الخراساني : جرجي زيدان ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، 1911م .

28. أرمانوسة المصرية : جرجي زيدان ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، ط2 ، 1988م .

عذراء قريش : جرجي زيدان ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، ط2 ، 1898.

29. استبداد المماليك : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1892م

30. أسير المتمهدي : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1892م .

31. الأمين و المأمون : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1906م .

32. الانقلاب العثماني : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1910م .

33. الرواية التاريخية : جورج لوكاتش ، ترجمة : د. صالح جواد كاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط2، 1986.

34. الحجاج بن يوسف الثقفي : جرجي زيدان ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1902م.

35. 17 رمضان : جرجي زيدان ، المكتبة الأدبية – بيروت ، 1899 .

36. العباسة أخت الرشيد : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1905م.

37. الرواية العربية بين الواقع والتخييل : رفيق صيداوي ، دار الفارابي ، لبنان ، ط1 ، 2008م.

38. الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية : روجرآلن ، ترجمة : حصة إبراهيم المنيف ، المجلس الأعلى للثقافة.

39. المملوك الشارد : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1891م .

40. شجرة الدر : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1913 م .

41. صلاح الدين الأيوبي : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1912م .

42. عبد الرحمن الناصر : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1909م.

43. غادة كربلاء : جرجي زيدان ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، ط2 ، 1901م.

44. فتاة القيروان : جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 1911م.

45. فتاة غسان : جرجي زيدان ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1988م.

46. فتح الأندلس : جرجي زيدان ، دار الجيل، لبنان – بيروت ، 1903م.
شارل و عبد الرحمن : جرجي زيدان ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، 1904 م.

47. الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية : د.نضال الشمالي ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن، 2006.

48. الرواية والتاريخ دراسات في تخييل المرجعي : د. محمد القاضي ، دار المعرفة للنشر – تونس ، ط1 ، 2008م.

49. سرديات الأمة تخييل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة : إدريس الخضراوي ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، النشر والتصفيف : 39 ، زنقة علي بن أبي طالب ، دار البيضاء ، 2017.

50. سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748 – 1374 ، مؤسسة الرسالة ، ط 11 ، 1996 م.

51. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه شخصيته وعصره : د. علي محمد الصلابي ، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، ط1 ، 2005 م.

52. صنعة الرواية : عبد الستار جواد ، العراق ، دار الرشيد ، 1981م.

53. طه حسين والفن القصصي : د. محمد نجيب أحمد ، دار الهداية ، ط1، 1407 – 1987م.

54. فن القصة : محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ط5 ، 1966م.

55. في الأدب الحديث : عمر الدسوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط7 ، 1966م.

56. في الأدب الحديث : عمر الدسوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط7 ، 1966م.

57. في نظرية الأدب ، شكري عزيز الماضي ، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2005م .

58. قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير : روجر ب. هينكل ، ترجمة ، د. صلاح رزق ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط2 ، د.ت.

59. القصة الجزائرية المعاصرة : عبد الملك مرتاض ، المؤسسة الوطنية للعنوان الجزائري ، د. ت ، د . ط.

60. القصة في الأدب العربي الحديث : محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، ط3، 1966م.

61. قضايا الرواية العربية الجديدة ، الوجود والحدود ، سعيد يقطين ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ،2010م.

62. لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، ط3 ، دار مصادر بيروت ، لبنان ، 1994 م .

63. المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب : إدريس بلمليح ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بيروت ، ط1 ، 1995 م .

64. المدخل إلى الآداب الأوربية : فؤاد المرغي ، سوريا ، منشورات جامعة حلب ، ط2 ، 1981م.

65. مرآة العصر في تاريخ ورسوم اكابر الرجال بمصر : الياس زاخورة ، المطبعة العمومية بمصر ، 1897 م.

66. مروج الذهب ومعادن الجوهر : الإمام أبي الحسن بن علي المسعودي ت 957م ، راجعه ، كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط1 ، 2005م.

67. معجم السرديات : محمد القاضي وآخرون ، دار محمد علي ، تونس ، ط1 ، 2010م .

68. معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عمر ت 1424 ، عالم الكتب ، ط1 ، 2008 م.

69. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة عرض وتقديم وترجمة : د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ط1 ، 1985م.

70. معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، قاموس تراجم ، طبعة مطبعة الترقي ، دمشق ، 1956 .

71. معجم الوسيط : إبراهيم مصطفى و آخرون ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة – مصر ، ط3 ، 1989.

72. معجم مصطلحات نقد الرواية : لطيف زيتوني ، دار النهار للنشر ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2002م .

73. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1991م .

74. معنى المعنى دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية : أوغدن ورتشاردز ، ترجمة ، الدكتور كيان أحمد حازم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، 2015.

75. مقتل الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا ت 208 – 281 ، تحقيق ، الشيخ محمد باقر المحمودي ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، ط1 ، 1990م.

76. المقفى الكبير : تقي الدين المقريزي ت 845 – 1441 ، تحقيق ، محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1991 م.

77. مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث بحث في المرجعيات : جليلة الطريطر ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ط2 ، 2009.

78. من أعلام الفكر و الأدب : أنور الجندي ، القاهرة ، 1964م.

79. من أعلام الفكر و الأدب : أنور الجندي ، القاهرة ، دون تاريخ للطبعة ، 1964م.

80. من السردية إلى التخييلية بحث في بعض الأنساق الدلالية في السرد العربي : د. سعيد جبار ، دار الأمان ، الرباط ، ط1 ، 2012 م .

81. منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن القرطاجني ، تحقيق ، محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، القاهرة ، 1981م .

82. موسوعة الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : باقر شريف القرشي ، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية ، ط1 ، 1422 – 2002 م .

- **ثانيًا : الدوريات والمجلات**

83. الأدب والتاريخ .. مقاربة منهجية : د. عبد الحكيم الكعبي ، جريدة القبس الثقافي ، رئيس التحرير ، وليد عبد اللطيف ، تصدر من قطر ، 12 مارس 2022.

84. الأدب والتاريخ : هاشم كاطع لازم ، مجلة المنال ثقافة و أدب ، تصدرها مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية ، نوفمبر ، 2017.

85. استعمالات البيوغرافيا : جيوفاني ليفي ، ترجمة محمد الطاهر المنصوري ، أسطور ، العدد 3 كانون الثاني \ يناير 2016.

86. تاريخ الأدب : محمود محمود محمد : مجلة الرسالة ، العدد 48 ، 4 – 6 – 1934.

87. التاريخ والرواية الجديدة : رواية " زمن الخيول البيضاء " لإبراهيم نصر الله نموذجا : زينب الياسي عيس ، مجلة الدراسات الشرقية ، جامعة اسطنبول ، العدد 38، 2021 .

88. التاريخ والرواية تفاضل أم تكامل : قاسم عبده ، مجلة العربي الكويتية ، العدد 557، أبريل 2005 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب.

89. التاريخ يستنطق الأدب : حسين الإسماعيل ، مجلة القافلة السعودية ، تصدر من أرامكو السعودية ، عدد1 ، مجلد 66 ، يناير – فبراير ، 2017. في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد : د. عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 240 ، ديسمبر 1998.

90. تقول الرواية ما يحجبه التاريخ : كارلوس فونتيس ، مجلة الكرمل فصلية ثقافية ، العدد 18 ، 1985 .

91. حول بعض قضايا نشأة الرواية : أمينة رشيد ، مصر ، فصول ، العدد 4 ، 1 أكتوبر 1986م.

92. الرواية التاريخية : بين التأسيس والصيرورة : سليمة بالنور – الجزائر، عود الندى مجلة ثقافية فصلية ، الناشر ، د. عدلي الهواري ، العدد 93 ، 03\2014 .

93. الرواية التاريخية : سيار الجميل ، مجلة البيان ، جامعة آل البيت ، م2، 1999م . المؤتمر الدولي الخطاب الروائي والتاريخ : مركز ضياء للمؤتمرات والأبحاث ، رقم الفعالية 62797، تاريخ الفعالية 2018 – 12 – 5 إلى 2018 – 12 – 7، الموقع مراكش ، المغرب.

94. الرواية التاريخية العربية زمن الازدهار : قاسم عبده قاسم ، المستقبل ، الثلاثاء 27 تموز ، العدد 3723، ثقافة وفنون .

95. الرواية التاريخية والعصور الأدبية : Azra Parveen ، Al Hidāyah ، (Vol. 4 No. 1, 2022)، ISSN (print): 2707-7454 /ISSN (online): 2788-7537 .

96. الرواية بين زمنيتها وزمنها مقاربة مبدئية عامة : محمود أمين العالم ، مجلة فصول ، الاصدار ، مصر، العدد 1، المجلد 1 ، 1 يناير 1993م.

97. الرواية والتاريخ و إشكالية التداخل : بوجمعة بو حفص ، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب ، عدد 2 ، مجلد 10، 2021 م .

98. الصيغة والزمن في الرواية : جورج واتسن ، ترجمة ، عباس العويني ، مجلة الأقلام ، تصدرها ، وزارة الثقافة و الاعلام ، دار الشوؤن الثقافية العامة ، بغداد ، العددان ، 11 – 12 ، تشرين الثاني ، كانون الأول.

99. العاشق : البطل النموذج : عبد الله رضوان ، مجلة الأقلام ، العددان 11 – 12 ، 1986م .

100. عصاميون عظماء من الشرق والغرب : بأقلام نخبة من كبار الكتاب ، أشرف عليه: محمد فريد ابو حديد ، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال ، العدد 35- جمادى الأولى 1373-فبراير 1954.

101. علاقة الرواية الأدبية بالتاريخ : د. الحاج صادوق ، جسور المعرفة ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الانسانية ، قسم التاريخ ، المجلد 5، العدد 1 ، 19\3\2019.

102. العلاقة بين الرواية والتاريخ : زياد الأحمد ، مجلة الجديد ثقافية عربية ، لندن ، العدد 60 ، يناير \ كانون الثاني ، 2020 .

103. العلامة والمرجع سيمياء المرجعيات التاريخية في رواية " العمامة والقبعة " : د. محمد إبراهيم عبد العال ، مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة المنوفية.

104. كتابة التاريخ تبدأ حين تنتهي السياسة : المؤرخ عاصم الدسوقي ، جريدة الشرق الأوسط ، الاثنين ، 4 ذو القعدة 1439، 16 يوليو 2018 ، رقم العدد 14475.

105. مجلة الهلال : جرجي زيدان ، السنة السابعة 15 مايو 1899م .

106. مدخل – المرجعية التاريخية للرواية الخليجية : فهد حسين ، الإيام ، العدد 9862 ، السبت ، 9 ابريل ، 2016 ، الموافق 2 رجب 1436 .

107. مدخل إلى الشخصية الثانوية في الرواية العراقية : باسم عبد الحميد حمودي ، العراق ، الأقلام ، العدد 6 ، 1 يونيو 1988.

108. من التاريخ إلى الرواية الذاكرة الجمعية مصدرًا للسرد : إدريس الخضراوي ، تبين ، العدد 33\9، صيف ، 2020.

109. نشأة الرواية العربية في الجزائر التأسيس والتأصيل : مفقودة صالح ، مجلة المخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، قسم الأدب العربي ، العدد 2 ، 2005 م .

- **ثالثًا : الرسائل والأطاريح**

110. أثر الرواية الغربية على الرواية الجزائرية " حارسة الظلال لواسيني الأعرج أنموذجا" : إدريس دريسي ، محمد الطاهر إيدر ، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في جامعة أحمد دراية ، كلية الآداب واللغات ، اللغة و الأدب العربي ، 2017م – 2018 م.

111. أنماط الكتابة عن الذات في رواية " سيرة المنتهى " لواسيني الأعرج أنموذجا : إكرام بن شاوي ، هبة شريفي ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ،بإشراف ، الدكتور وهيبة جراح، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة ، معهد الآداب و اللغات ، 2019 – 2020 م.

112. البناء الفني في الرواية التاريخية العربية 1870 – 1939 دراسة فنية مقارنة : خالد سهر محي الساعدي ، رسالة ماجستير مقدمه إلى جامعة بغداد ، بإشراف ، عبد الله أحمد ، كلية الآداب ، 1989 م.

113. تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي : محمد محمد حسن طبيل ، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الإسلامية ، بإشراف ، يوسف موسى رزقة ، غزة ، كلية الآداب – قسم اللغة العربية ، 2016م.

114. التخييل التاريخي في الرواية المغاربية الجزائر – المغرب – تونس : شامخة طعام ، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي المعاصر ، بإشراف أ / د بشير محمد يويجرة ، جامعة وهران ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية و آدابها ، 2013 – 2014 م .

115. التوظيف الفني للتاريخ في رواية " فتح الأندلس " ل : جرجي زيدان : سناء شويب ، مذكرة مقدم لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية ، جامعة محمد خضير ، بإشراف ، الدكتورة : آسيا جريوي ، 2015 – 2016.

116. جدلية التاريخي والتخييلي في رواية " الديوان الإسبرطي " لعبد الوهاب عيساوي : سمية أزهار سليماني ، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر ، بإشراف ، أ / سعيد بومعزة ، جامعة 8 ماي 1945قالمة ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة والأدب العربي ، 2020 – 2021 م .

117. حضور الذات في رواية يوميات مطلقة لهيفاء بيطار : بوزيد إلهام ، قبايلي فطيمة الزهراء ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي ، بإشراف ، الأستاذ : شاكر لقمان ، جامعة العربي بن مهيدي ، 2018 – 2019م.

118. الحوار في البنية السردية لرواية " ثقوب زرقاء " للخير شوار : حمدي الربح ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس ، بإشراف ، الأستاذة مادي فضيلة ، جامعة أكلي محند اولحاج – البويرة ، كلية الآداب واللغات ، 2014 – 2015.

119. الذات في الرواية العربية النسوية المعاصرة " رواية إكادولي " لحنان لاشين أنموذجا : أحلام عيساني ، سمية عيساني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، بإشراف ، الأستاذ ، د. حفيظة سوالمية ، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي ، كلية الآداب و اللغات ، 2021 – 2022 م.

120. الرواية التاريخية العربية بين التوثيق والخيال : رجاء مستور ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية وآدابها ، بإشراف ، أ .د محمد شنوفي ، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله ، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية ، قسم اللغة العربية و آدابها ، 2015-2016 .

121. الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية وهوية الانتماء : سليماني فاطمة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، بإشراف ، أ .د . سعيدي محمد ، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان ، كلية الآداب واللغات ، 2011 – 2012 م .

122. الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني رواية " الدروب الوعرة " نموذجا : نادية بو عزيز ، نبيلة سيدي ، رسالة ماجستير مقدمه لجامعة آكلي محند أولحاج ، بإشراف ، نسيمة لعداوي ، 2013 - 2014 م .

123. المرجعيات الثقافية في شعر ابن الأبار القضاعي الأندلسي ت 658 : ساره محمد اتويه اللامي ، رسالة ماجستير مقدمه إلى مجلس كلية التربية ، بإشراف أ .د . عبد الحسين طاهر محمد الربيعي ، جامعة ميسان ، 1440 – 2019.

124. ملامح الرواية التاريخية عند جورجي زيدان " رواية غادة كربلاء-نموذجا- " : كلثوم بقريش ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، بإشراف ، الأستاذ أحمد لعويجي ، جامعة محمد بو ضياف – المسيلة- كلية الآداب واللغات ، اللغة والادب العربي ،2014م .

- **رابعًا : مواقع الشبكة المعلوماتية**

125. بين الأدب والتاريخ ... محاولة لفك الاشتباك ؟ ، منير إبراهيم تايه ، الحوار المتمدن قناة على اليوتيوب ، الأدب والفن ، 24\5\2017.

126. الرواية والتاريخ : الروائي العراقي شاكر نوري ، يوتيوب ، قناة طب وعلوم، http : \\youtu.be\5NLN5kdrfzk.

علاقة التاريخ بالرواية ، الناقد فاضل ثامر، يوتيوب .https : \\youtu Be\hkj3Ekby2no.

Abstract

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the Messenger of God, his friend, and his elite among his creation, our master Muhammad (may God bless him and his family and grant him peace), his family, and those who followed his path and were guided by his guidance until the Day of Judgment. It is narrated orally or in writing, and during that process of narration, the imagination enters and expands the circle of narration and retells the history by adding imaginary fingerprints until the image of the story is completed, so that history becomes (creative practice). For the historical issue to be composed of three basic elements: the historical facts as they actually occurred, then the process of retelling these facts after a period of time (orally or in writing), then thirdly and finally, the need to add some imaginary elements (according to the mood and technique of the narrator), and this study will address A sample of the novels of Gerji Zaidan, which is the novel (17 Ramadan). The researcher's thesis, titled (Historical Fiction in the Novels of Jerji Zaidan, The Novel of 17 Ramadan as a Choice), consisted of an introduction to Jerji Zaidan and his fictional historical novels with three chapters as follows: The first chapter included the relationship between the novel and

history, and it included three topics (the historical novel at The Europeans and the Arabs, the novel as a historical source, history as a literary reference), while the second chapter included Arab-Islamic history and its reproduction in Jurji Zaidan. The movement of history), while the third chapter is related to the narration of the seventeenth of Ramadan and the preoccupation of the historical imaginary. A list of sources and references has been reached

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Kerbala - College of Islamic Sciences

The department of Arabic language

Imagination of Islamic history in the novels of Jurji Zaidan - The novel 17 Ramadan as a choice –

To the Council of the College of Islamic Sciences University of Kerbala, which is part of the requirements for obtaining a master's degree In the language of the Qur'an and its literature

Letter submitted by the student

Kawthar Shaker Hilal

:Supervised by

Mr. Dr Ali Muhammad Yassin.

2023 AD 1445 AH